بصمات الكاكاو

الحامد، أمل
بصمات الكاكاو / أمل عبد الله الحامد
القاهرة: روافد للنشر والتوزيع، ط1 / 2015.
172 ص ؛ 21 سم
1- قصص
2- العنوان
أ. المؤلف
رقم التصنيف: 01،813
رقم الإيداع: 2015/14139
ISBN: 978 - 977 - 751 - 139 - 1
جميع الحقوق محفوظة للناشر

روافد للنشر والتوزيع
القاهرة – ج م ع
+2 0122-2235071
rwafead@gmail.com
www.rwafead.com

□

تصميم الغلاف: إهداء من الفنان

بصمات الكاكاو

مجموعة قصصية

أمل عبد اللّه الحامد

إهداء....

إلى تاج رأسي (أبي)..

..يا رمز الكفاح .. يا رجولة وهبتني معنى الأمان...يا أصلي ومنبتي... يا حاضري ومستقبلي..

إلى (أمي) ..

يا رمز الحنان...ياشمعة العطاء... يا من احتضنتني أحشاؤها قبل يديها، ورآني قلبها قبل عينيها، يا من علمتني أبجدية الحروف.. والصمود في وجه الأيام مهما كانت الظروف...

يا من اختارت لي اسمي لأكون أملها في هذه الحياة ...

إليكما أهدي مجموعتي الأولى...

عبدالله سعيد الحامد

سونا حسين عطية

حفظكما الله

الشكر هو معرفة العجز عن الشكر...

اشكركم على دعمكم وتشجيعكم لي في أصعب ظروفي ..

المهندس. خالد عبدالله الحامد .

د.إنصاف عوض الكريم .استشاري علم النفس الإكلينيكي

د.دلال مسعد .استشاري الجلدية والتناسلية

أ.سمير الجمل .الكاتب الصحفي والسيناريست

مقدم شرطة. عبدالحليم سعد الملك جوازات سفارة السودان بالقاهرة

أ.أحمد الحسني .المستشار الاعلامي بمكتب الرئيس العام بمكة المكرمة

أ.عبدالملك الشرعبي .المحرر الصحفي بمجلة سيدتي .

د.رامي سمير غيط .أخصائي أمراض الجهاز الهضمي والكبد

د.رامي عطا . كاتب وباحث – مدرس الصحافة بإعلام الشروق

د فاطمة شعبان أبوالحسن .باحث – مدرس بإعلام الشروق

أ.نسمة فايق .مدرس مساعد بإعلام الشروق

أ.مرام حسين .مدرس مساعد بإعلام الشروق

أ. وحيد ناجي .مهندس صوت بإستوديو مصر

أ.وفاء الغريبي .أستاذتي في المرحلة الإبتدائية

الشريفة/منال الدباغ أول مصورة رياضية سعودية.

أ.سميرة عبيد .شاعرة.. ناقدة.. عازفة.

أصدقاء العمر..

ميرفت راجح، ايمان بهاء خليل، أحمد محمدي، رنا خليل، هند عبدالعزيز، منى فاروق.

عندي أمل.. في "أمل!!"

جاءت تدرس السيناريو ورأيتها منذ اللحظة الأولى قد شدت أمامي عشرات الأسئلة.. ولاحظت أنها لا تبعد الجملة التي لا تعرفها إلا بعد أن تتحول عداوة الجهل بها.. إلى محبة المعرفة بهذه الجملة.. بعد أن انضمت إلى رصيدها المعرفي والثقافي..

رأيت فيها العين التي تجيد التقاط التفاصيل الصغيرة وهذه النقطة هي المفتاح السحري لمن أراد كتابة السيناريو.. إلى جانب حسها القصصي..

فهي وكما نلاحظ في بعض ما كتبت قد تنطلق من موقف خاص ثم تتوسع معه إلى الموقف العام وهنا يتحول القارئ من مجرد متفرج سلبي.. إلى مشارك وهو ما يعني أن القصة قد لمست لديه ما يثير الإهتمام والفضول والدهشة..

وعند الدهشة نتوقف.. وانظر إلى عنوان المجموعة القصصية

"بصمات الكاكاو .." ثم عناوين بعض القصص الأخرى:

احترم دموعي قبل أن تحترمني/ زوجة في الظلام /عشيقة بالحلال/ عطر اليأس...

وهو ما يكشف عن حس صحفي أدبي ودرامي أيضا..

ولن أتناول القصص بمنظور نقدي فليس هذا مجالي.. يكفي أنها حاولت بصدق .. واجتهدت بصدق.. وكشفت عن موهبة استفادت

إلى حد كبير من دراستها للإعلام.. وأيضا خبرات الحياة التي تجمعت لديها رغم صغر سنها.. ما بين جذور سودانية.. وحياة خليجية.. ودراسة مصرية على أنغام الكشري والفول والطعمية.

ورأيي بلا تحيز أن من يحضر إلى مصر للدراسة ولا يبرح مدرجات وفصول المحاضرات يرجع بالشهادة... لكن من يستثمر تجربة الحياة الصاخبة اللاهثة المتناقضة المزدحمة العجيبة في مصر.. يرجع بما هو أكثر وأعظم من الشهادة.. والنماذج أمامي متعددة لمن درسوا وعاشوا وعادوا إلى بلادهم ليكونوا في الصف الأول.. لأن الشارع أكبر معلم .. وآه من شوارعنا المصرية بما فيها من المنظور والمخفي..

لذلك أقولها بكل صدق

عندي أمل.. في" أمل"

وأتمنى لها النجاح وأظنها بما تحمله من روح المثابرة والعناد لن تترك النجاح في حاله يعبر أمامها ويتجاهلها ويخرج لها لسانه..

بل ستجره من شعره جرا إلى حيث يقول لها كما يقول المارد وهو يخرج من القمقم..

شبيك لبيك.. نجاحك بين يديك!

الكاتب الصحفي والسيناريست / سمير الجمل
نائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية
القاهرة.سبتمبر2015

إحترم دموعي قبل أن تحترمني

إهداء لروح الزميل بيير شريف

(إذا تألمت لألم إنسان.. فأنت نبيل.. أما إذا شاركت في علاجه فأنت عظيم..) ...

وليام شكسبير

الثلاثاء ١٥أكتوبر .....

وافق أول أيام عيد الأضحى المبارك التي من المفترض أن نحتفل فيها، نصلي العيد، نذبح.. نلتقي بالأحبة.. كلها عادات نشأنا وتربينا عليها حتى باتت من المسلمات التي لا تقبل التغيير.

ولكن في ذلك العيد من عام 2013 كان الأمر مختلفًا تمامًا عن ما سبقه من أعياد... فقد تحولت مراسم الإحتفال إلى مراسم عزاء، في كنيسة (مارجرجس) الكائنة في حي هيليوبولس بمصر الجديدة، بوفاتك..

لم تكن ذلك الصديق المقرب لي، لكنك لم تبخل عليَّ يوما بالإبتسامة في وجهي كلما تلاقينا من باب الصدفة سواء في المحاضرات، المواصلات العامة، أو حتى في ممرات الكلية فترة الاستراحة لتدخن سيجارتك اللعينة التي لا تفارقك...

يومها استيقظت متأخرة كعادتي فكل الأيام سواء بالنسبة لي... لا فرق بين أعياد أو مناسبات بدون الأهل!...

فنجان قهوة تركي سادة هو فطوري المعتاد.. مرارة القهوة على الريق تسهل عليَّ مرارة الحياة القاسية بقية اليوم، لكن فراقك كان أمر بكثير من تلك القهوة!

(R.I.p.Pierre)

كان ذلك خبر وفاتك على صفحات الفيس بوك... لكنني لم أفهم ما كانت تعنيه تلك الحروف المختصرة، فإنجليزيتي لم تسعفني.. ولكن بعد قرءاة عدة تعليقات فهمت أنه خبر وفاة لشخص ما، لا أدري لماذا تخيلته مطربًا أو ممثلا... مستبعدة تمامًا أن تكون أنت!!!!!

كان اسمك مميزًا، فلم أقابل شخصًا يحمل نفس الاسم من قبل، لكن عقلي رفض تماما أن يتخيل أن تكون أنت المتوفى!!!

تعليق من إحدى أساتذتنا أكد شكوكي (بيير الطالب بالسنة الرابعة الله يرحمه).....

لا أدري لماذا لم أستوعب الأمر... لماذا أخذت فنجان القهوة إلى المطبخ، ترى هل كان الوقت المناسب لذلك؟ ترى هل سيخفف علي المطبخ من هول الصدمة.... مجرد ردات فعل لا معنى لها.. مجرد هروب من واقع أليم..

لم أبكِ.. فقط اتصلت بصديقة لي في نفس الكلية التي جمعتنا أنا وهي وذلك الملاك الذي ودعنا في صباح هذا اليوم للأبد....

أخبرتها وكأنني أردت من يشاركني صدمتي، ثم اتصلت بأستاذنا الكبير بالكلية على أمل أن يترك ما بيده ويشاركنا أحزاننا كطلاب كسرهم فراق زميلهم... لكنه لم يجاوب حتى على مكالماتي...

اكتفيت برسالة نصية له... (كل عام وأنت بخير أستاذي الفاضل.. قد توفى اليوم أحد زملائنا بالكلية...البقاء لله)

أخذت الأفكار تتزاحم في رأسي.. عدت بذاكرتي إلى الخلف.. قبل ثمانية أيام، كانت هذه أخر مرة رأيته فيها، تذكرت ابتسامته التي استقبلني بها بعد إجازة الصيف التي قضيتها مع أهلي في السعودية.

كان دومًا في منتهى الذوق والإحترام...اقترب مني مادًا يده:

- حمد الله على سلامتك نورتي مصر.. ومبروك على النتيجة
- النور نوركم يا بيير... انت عرفت الله يبارك فيك... وانت عملت ايه....
- الحمد لله بس مش زيك طبعا.... كيف أهلك وكيف السعودية... نفسي ازورها.
- إن شالله تتخرج وتقدم على شغل هناك وأنا وأهلي تحت أمرك بيتي هو بيتك....

كانت هذه أول وآخر كلماتنا في ذلك اليوم.... ولم أكن أعرف بأنها ستكون المرة الأخيرة في حياتك...

هزني خبر وفاتك... فحبست دموعي حتى غصيت... ارتعشت من هول الصدمة كورقة تذروها الرياح... رفض عقلي استيعاب تلك اللحظة، وراود قلبي الحنين إليك... وأخيرًا استوعبت أنه لم يعد لك وجود في عالمنا القذر وأنك قد انتقلت إلى عالم آخر. عالم أبدي لا فراق فيه ولا دموع، فبكيت!!...بكيتك بيير.

نكست رأسي على مكتبي الصغير استرجع كل شيء عنك... على أنغام (الوداع) لصوت الملائكة... فيروز...

أنا صار لازم ودعكن وخبركن عني
أنا كل القصة لو منكن ما كنت بغني
غنينا أغاني عوراق غنية لواحد مشتاق
و دايما بالأخر في أخر في وقت فراق
يا جماعة لازم خبركن هالقصة عني
أنا كل شي بقولو عم حسو و عم يطلع مني
موسيقى دقو و فلو و العالم صارو يقلو
ودايما في الأخر في أخر في وقت فراق
بكرا برجع بوقف معكن اذا مش بكرا البعدو أكيد
أنتو أحكوني و أنا بسمعكن حتى لو الصوت بعيد
بلا موسيقتنا الليلة حزينة بلا غنية الليلة بتطول
كل ليلة بغني بمدينة وبحمل صوتي وبمشي عطول
ولا غنية نفعت معنا ولا كلمة الا شي حزين
اذا ما بكينا ولا دمعنا لا تفتكرو فرحانيين

بيير.... يا من لم تكن صديقي...

غبت عن الدنيا وتركت أهلك وأحبابك وأصدقاءك فيها للحسرات والزفرات والدموع....

عقلي القاسي يذكرني دوما بأنك لم تقرأ حرفًا واحدًا مما سأكتبه لك... ولكن قلبي الحالم يحاول أن يقنعني عبثًا بما تغنت به فيروز!!

يا ليت بكائي يعيدك ولكنه لا يجدي نفعًا فقد رحلت للأبد يا صديقي يا من لم تكن صديقي.. قد رحلت يا ابتسامة الحياة!!

.....

وفي خلال ثوانٍ قررت حضور مراسم العزاء ، ولكن متى؟ أين؟ لم يكن لي علم بأدنى تفاصيل..كل ما أعرفه أنني قررت الذهاب إليك لوداعك لأخر مرة وحسب...

كانت الساعة الرابعة مساء عندما أجريت عدة مكالمات هاتفية للتوصل لأي معلومة ولكن بلا فائدة فالجميع مثلي يرغبون بالذهاب للعزاء لكنهم لايعلمون شيئا....

لم تمر سوى دقائق معدودة حتى صرح شخص عن تفاصيل العزاء على صفحته على الفيس بوك...

الساعة السادسة مساء...كنيسة مارجرجس.. هليوبولس...

كان هو ذاته من صرح بخبر وفاته في صباح اليوم الأسود!

عاودت الاتصال بأستاذي ولكن لا من مجيب، حاجتي له كانت لا توصف ربما أكون قد لمست فيه ذلك الأب الذي سيحتضننا في مصيبتنا ولكن كل ظنوني كانت خاطئة في تلك الليلة... وفاتك يا صديقي جعلتي أتأكد من صحة عبارة.. (الحي أبقى من الميت)!!!

مسحت دموعي وأنا أحاول العثور في خزانة ثيابي عن ذلك اللون الذي تجسدت فيه مشاعر الحزن... تلك الخرافة المقيتة التي ابتدعها شخص وسار البقية على دربه.. من قال بأن الحزن يتمثل في الألوان التي نرتديها أو السواد الذي نتشح به كغربان مخيفة؟

الحزن في قلوبنا، في ألمنا، في صدق دموعنا، فليس كل من ذرف دمعتين أو اتشح بالسواد كان صادقا في حزنه!... الحزن دليل انسانيتنا تلك الإنسانية التي بات يفتقدها الكثير منا!

****

لا أذكر أنني خرجت من قبل في الأعياد ربما لأن لا طعم للعيد بدون الأهل، أو ربما للذعر الذي عيشتنا فيه برامج Talk show بالتهويل من جرائم التحرش الجماعي، وحوادث الإختطاف والسرقة في كل عيد!

لم أجد من أثق به سوى حسين... فاتصلت به... كان صوته منتشيًا سعيدًا اخذ يحكي لي عن يومه الذي قضاه مع عائلته، وعن أصناف الطعام التي أعدتها والدته.. عن.. وعن...

وأخيرا سألني: كيف حالك؟

كعادته لم يقرأني من نبرات صوتي... فكيف يقول أنه يحبني!! أليس الحب هو أن تشعر بمن تحب دون أن يتكلم؟

أليس الحب مشاعر طاهرة، بريئة؟.... لكن حبه كان مختلفًا تمامًا، حب ذو خيارين... .إما الخطيئة المتعمدة أو الإهمال المتعمد...

وها أنا أتكلم وأشرح وأبكي ونفس الشيء.. لا يشعر بي... فأي حب يا رجل ذلك الذي تدعيه... الحب برئ منك ومن أمثالك!

ربما تأثر لثواني أو ربما خيل لي ذلك طالبًا مني التوقف عن البكاء، واتفقنا على الساعة الخامسة والنصف ليرافقني إلى الكنيسة حتى لا أكون بمفردي في يوم كهذا.

موقفه المختلف جعلني ألوم نفسي على حكمي عليه من قبل!!...

وكان موعدنا.. رنة هاتفي النقال قطعت الصمت القاتل الذي أعيش فيه، لم أتأخر كعادتي فلا سبب للتأخير هذه المرة!.. لاحاجة للكحل، أحمر الشفاه.... لا حاجة لشيء سوى الدموع... فكانت زادي في تلك الليلة...

كنت شريدة تائهه مشتتة الفكر، لا أعلم ما انتابني حينها عندما توجهت إلى سيارة أخرى ... ربما كانت تشبهها، أو ربما بدا لي ذلك، أو ربما فقدت القدرة على التمييز وقتها.

- سكرانة حضرتك!!

كانت هذه تحيته لي!!..

- مالك ليه مادة بوزك كدة ماتفكي وإيه السواد اللي انتي لابساه ده

ترى من منا السكران.. أنا أم هو؟... لثوانٍ معدودة خيل لي أنه ليس نفس الشخص الذي كلمته منذ ساعة، ذلك الشخص الذي بدا أكثر اهتماما بمشاعري.. ولكن للأسف عادت ربما لعادتها القديمة...

- اتغديتي.
- لا مالي نفس..
- انتي عشتي في الدور، خلاص مات ولا اتنيل انتي مالك بيه، ما استبعدش إنه كان بينك وبينه حاجة كمان عشان كدة هتموتي نفسك عليه، ويا عيني عليا بنفسي موديكي لعزاه

كلماته اخترقتني كسهم قاتل، صدمتي به كانت أكبر من صدمتي بوفاة بيير، ما هذا الشخص الذي تجرد من كل المشاعر والعواطف، حتمًا أنه ليس إنسان ولا حيوان فجميع الكائنات الحية لها أحاسيس أما هو مجرد منحط وضيع مريض يحسب الجميع مثله بلا مبادئ ولا قيم!... بحثت عن كلمات أرد بها عليه فلم أجد أبلغ من الصمت ردًا بعد أن وقفت الكلمات في حلقي كسكين حادة!!

مازالت الأطباق الشهية التي أعدتها والدته تشغل تفكيره، فأخذ يشرح لي كيف انقض هو وأبناء خالته على طبق (الفتة) حتى لم يعد

قادرًا على التنفس لذلك لا يستطع البقاء معي وأنه مضطر للعودة إلى البيت للراحة بعد الأكلة الدسمة!! صحيح عذر أقبح من ذنب....

علاقتي به غريبة... لا أبادله الحب ولا حتى الإعجاب وفي نفس الوقت لا أستغنى عنه، أثق به بالرغم أن لا أحد يثق به حتى أهله، أحتاجه كما يحتاجني...لكن كل منّا يحتاج الآخر بطريقته، أحتاجه أنا لأنه مصدر أمان.... ظل رجل في غربة لا ترحم، ويحتاجني هو على أمل أن أشبع غرائزه يوما ما....كلانا حمقى!!

(الحشيش) بالنسبة له الأكسجين وبالنسبة لي اللعنة، الحب بالنسبة له (الجنس).... وبالنسبة لي طهارة الأرواح... وكل منا يحاول عبثا أن يقنع الآخر بقناعاته!...

استمراري معه لسبب واحد فقط....على أمل أن يتغير!!..فتارة أشعر أن بداخله بذرة خير، وتارة أخرى أشعر بأنه مشتل من الشر يوزع شتلاته على كل من حوله!...

أصدقاؤه هم سبب ضياعه... سبب رسوبه لخمس سنوات بالجامعة... ربما سبب إدمانه أيضا!

حنون لكنه قاسٍ، صادق لكنه كاذب، ذكي لكنه غبي، يثق بي لكن يشك بي، باختصار هو الشيء ونقيضه!!!!!

لا أنكر أنه يحبني....لكن بطريقته الخاصة.. طريقة لا تندرج في قاموس الحب!!

شكّه انتقل إليَّ فبت أشك في تصرفاتي أصبحت أخاف من تصرفات طبيعية حتى لا يفسرها بطريقته المريضة، يهملني عندما أحتاجه.. ويتقرب لي عندما تستقر أموري.. يريدني دومًا بلا هموم، يتذمر عندما أحكي له مشاكلي...

كم هو غبي ذلك الحسين! لا يعلم أنه بإهماله ذلك سيجعلني أبحث عن الحنان مع غيره ولكنني لم أفعل فكنت دائما على أمل أن يتغير....ولكنه للأسف لم يتغير...

عند البوابة الرئيسية للكنيسة كانت مراسم زفاف كم تمنيت لو تبدل الحال وأصبح هذا زفاف بيير بدلا من عزائه! ...

أخبرنا أحد المعازيم بأن للكنيسة بوابة أخرى للعزاء، كم هي مفارقة كبيرة بل سخيفة أيضا...عدة خطوات فقط تفصل بين الموت والحياة.. بين أهالي العرسان وأهالي المتوفيين، بين المعازيم وبين المعزيين!!...

أوقف سيارته أمام البوابة وسرعان ما اقترب منّا رجل يعمل في الكنيسة سأله حسين عن قاعة العزاء للمتوفى (بيير شريف).... ازدادت دقات قلبي وهو يخبرنا بأنها من هذا المدخل..

نظرت إليه بفزع :

- يعني خلاص بيير مات وماراح أشوفه تاني.

اتهمني بالجنون والتفاهة.... لا أنكر أنني كنت على أمل أن تكون وفاته مجرد كابوس، مزحة، أو حتى كذبة إبريل في شهر

أكتوبر.... كم تمنيت أن أراه مجددًا بين أصدقائه يمزح ويضحك كعادته، ولكنها للأسف كانت حقيقة مقيتة !!!

أمسكت بيده وأنا أطلب منه أن يرافقني للداخل فشجاعتي خانتني لمواجهة هذا الموقف وحدي، ولكنه بكل جبن تنصل بحجة حاجته للراحة بعد الأكلة الدسمة وأن أصدقاءه في انتظاره..

وبكيت.... بكيت حالي... لم تكن دموعي من أجل فراق بيير وحسب، بل على حالي مع ذلك الكائن المتبلد الأحاسيس...لماذا لم يشعر بألمي؟ لماذا اتهم صدق حزني وبراءة دموعي بتلك الهراءات النجسة؟..لماذا دوما يشك بي وبكل من حوله؟.. لماذا يتهمني بالكذب بحجة أنني أنثى وأن الإناث من طبعهن الكذب والخيانة!...

نظر إليَّ باستخفاف:

- دموع دموع قرفتي أمي ياشيخة نكدتي عليا يوم العيد.

وواجهته...كانت تلك المرة الأولى والأخيرة ...

قائلة بحسم:

- أرجوك.. احترم دموعي قبل أن تحترمني... حسين انتهى كل شيء بيننا.

أغلقت باب السيارة بقوة ومضيت غير عابئة بتوسلاته أو حتى بتهديداته، فلا حاجة لي برجل لا يحترم دموعي!!

تقدم معي ذلك الرجل يوصلني وهو يشير بيده لقسم النساء لكنني فقدت حاسة السمع وما عدت أسمع سوى دقات قلبي التي تزايدت بشكل جنوني بعدما قرأت اللوحة المستندة بالقرب من باب قاعة العزاء...

المرحوم/ بيير شريف.

الثلاثاء... 15/10/2013

أمام القاعة وقفوا مجموعة من الشباب الذين كسى الحزن وجوههم لاستقبال المعزين ما أثار استغرابي أن الرجال والنساء في قاعة واحدة لايفصلهم شيء لكنني أحترم كل الأديان وكل الثقافات حتى ولو كانت تخالف ما نشأت عليه!

كانت القاعة كبيرة مزدحمة بالكراسي المتراصة، في حين أنها لم تكن مزدحمة بالناس، حوالي خمس من النساء وسبع من الرجال فقط!

كانت إحداهن منهارة منخرطة في بكاء مر حزين يقطع نياط القلوب، لا أدري لماذا تخيلتها حبيبته ربما لشدة حزنها وألمها، أو ربما لأني لم أرَ غيرها يبكي!

بكاؤها أثارني فامتلأت عيناي بالدموع ثم تشنجت ببكاء خافت مر، انتقلت النساء بنظرهن صوبي مستعجبين من مدى حزني!

تجولت ببصري بين الجدران... كانت هذه أول مرة أدخل فيها كنسية كم كنت متشوقة لذلك اليوم الذي أزور فيه كنسية فلطالما

عشقت الأديان وخاصة الدين المسيحي لكنني حتما لم أتمنى أن أدخلها أول مرة لعزاء.

استنكرت موقف سيدتان ورجل جلسوا بجانبي...كانوا بمنتهى قلة الذوق والإحساس، بانخراطهم في الأحاديث والضحكات وكأن هذا ليس بعزاء له احترامه وهيبته... والأدهى من ذلك طلباتهم من الرجل الذي يقدم القهوة والشاي، فواحدة طلبت نسكافيه والأخرى شاي أخضر والأخرى يانسون!...على ما أعتقد أن الأمر قد اختلط عليهم بأنهم في كافيه وليس في قاعة عزاء!

وفجأة دخلت سيدتان فقام الجميع يسلم عليهما وما إن عادت تلك التي طلبت النسكافيه حتى سألتها:

- هل هذه والدته؟

لم تنطق بل حركت رأسها فقط... فسألتها سؤالا أخر:

- هل أستطيع ان أسلم عليها أم فقط أهلها لأنني زميلة المتوفي بالكلية؟

مصمصت شفتيها بكبرياء وهي تقول:

- ماعرفش

تقدمت بخطوات حائرة نحو امرأة عرفت فيما بعد أنها خالته..

خرج صوتي مهزوزًا وأنا أسألها :

- هل أنتِ والدته؟

سلمت علي بيد مرتعشة وصوت مرتعش أيضا قائلة:

- أنا أمه اللي ماخلفتهوش

ضممتها إلى صدري وأنّة خافتة يكاد يصرخ بها قلبي... مازلت أسمع صدى جملتها... مازلت أشعر بحسرتها عليه!

بجانها جلست والدته.....بدت كجثة هامدة بملامح متحللة، طعنت بخنجر مسموم في جسدها المتصلب، كانت عيناها جافة بلا دموع ولسانها قد شل عن الكلام، ترى أين ذهب جمالها الذي كان يضرب به المثل؟ أين سحر عينيها؟...أين رقة ملامحها؟

يا إلهي لا أصدق أنها ذات السيدة التي حضرت مع بيير منذ عام إلى الكلية لمقابلة العميد، يومها لم يصدق الجميع أنها والدته فملامحها تبدو أصغر بكثير من أن يكون لها ابن في مثل سنه، حتى أنني أذكر أن أحد الطلاب قالها مازحًا للمغفور له:

- والله أنا مش مصدق إنها والدتك يا راجل... وعشان كدة هخطبها منك يابير...قلت إيه تجوزهالي؟...

وكعادته ضحك يومها، كان طيب القلب، هادئ، بشوش.. لم تكن لتفارق الابتسامة شفتاه..... ولكن لعنة القدر قد حرمتنا منه ومن ابتسامته للأبد!

كم هي مسكينة تلك الأم، عدة ساعات فقط على فراق ابنها كانت كفيلة بتحويلها لأطلال امرأة،كل جمالها ذهب أدراج الريح وحل محله الشحوب والذبول والعذاب.

شيء واحد أكد لي شكوكي بأن تلك المرأة هي أمه...خصلات شعرها الحمراء!! لكن حتى تلك الخصلات قد أعلنت الحداد، فقد بدت باهتة بعد أن كانت متوهجة كشعلة نار!

تسمرت عيناها على وجهي فترة قصيرة قبل أن تسأل بصوت خال من أي تعبير:

- أنت صديقة ابني.. أنت زميلته في الكلية..... أرجوك إدع له.. أرجوك..

ضمتني إلى صدرها بحنان ثم طبعت قبلة على جبينها.. لم تبك أبدا.. فقد بقيت دموعها متحجرة في عينيها، وفي حلقها غصة وفي قلبها بحور من الحزن.

ناشدتها أن تغسل حرقتها بالدموع ولكنها قالت بمرارة:

- لا فائدة من الدموع!!

.... صدقت.. أحيانا تكون لا فائدة من الدموع!!!!

القهوة الساخنة

(كلاهما خسران: الأعزب الذي له ماضٍ، والمتزوج الذي ليس له مستقبل)

أنيس منصور.

"اتفضل فنجان القهوة"

نفس الكلمات بعد كل تلك السنوات، ليست الكلمات وحسب بل كل شيء وكأن القدر شاء أن يعيد ذلك السيناريو من جديد لحكمة لا يعلمها سواه.

التقينا وفي عيني رهبة من تذكر الماضي، كانت هي نفسها لم تتغير، بنفس ملامحها، وسحرها، بجسمها الممشوق وعينيها الخضراوين.

نظرت إلى عينيها بعد أن قدمت إليَّ القهوة واختفت لترحب ببقية الضيوف، لم أجد في تلك العينين المخادعتين أي انعكاس لصورتي وكأنها لم ترني من قبل، لم أرَ في عينيها سوى صورة محمود التي انقلبت في عينيها وهي تحدق به، نظرت إلى يميني لأجد أخاها بجواري فقد كان ومازال أعز أصدقائي، علاء صديق طفولتي وزميل دراستي التي أجبرتني ظروفي على تركها بعد المرحلة الإعدادية بينما سمحت له ظروفه بمواصلة تعليمه إلى المرحلة الجامعية حتى حصل على

"بكالوريوس تجارة" بطلوع الروح حيث لم يكن من هواة العلم والتعليم.....

كنت في الثامنة من عمري عندما انتقل علاء وأسرته للعيش في العمارة المجاورة لنا بعدما ودعوا "عين شمس" وانتقلوا للعيش معنا في شبرا.

كان علاء طفلا مشاكسًا، مغرورًا، مغرم باختلاق المشاكل، فقررت كسر شوكته تلك بإحراجه أمام أطفال الحي محاولا منعه من ضرب أحد أصدقائنا لكنه أبعدني بقوة حتى سقطت على الأرض ثم انهال عليَّ ركلا بقدميه فهرعت إلى حضن أمي باكيًا من الألم.

لم تسكت أمي يومها فانطلقت إلى والدته ثائرة في وجهها غاضبة من فعلة ابنها، فما كان منها إلا أنها امتصت غضب أمي بحنيتها وطيبة قلبها، لتنقلب الآية وتعتذر لها والدتي عن تصرفها المتهور.

ومن يومها نشأت بيننا وبين عائلة علاء صداقة قوية لم تفقد روعتها مع مرارة مشوار الحياة.

أصبح علاء أخي الذي لم تلده أمي، فكان البئر العميق لأسراري والكهف المظلم لطيشي، تذوقت معه طعم الصداقة الحقيقي كما قالوا قديمًا "صديقك من أبعد عنك رياح الحيرة والضعف وأكسبك بحبه هداية وقوة"

جمعتنا مشاعر صداقة لا تغيب مثلما تغيب الشمس، ولا تذوب كما يذوب الثلج فهي لا تموت إلا بموت الصديق....

افتقدته كثيرًا بعد سفره إلى الغردقة، حاولت كثيرًا الاتصال به لكن محموله مغلق فمرت الأيام ثقيلة بلا طعم إلى أن اتصل بي في إحدى ليالي الشتاء الباردة:

- وليد كيف حالك؟ أرجوك اذهب إلى والدتي واعطها أي مبلغ متوفر لديك لأنني سوف أتأخر حوالي أسبوع وهي محتاجة لشراء دوائها.

أجبته بكل ترحيب:

- ولا يهمك أنا تحت أمرك.

أغلقت الخط باحثًا عن فكرة لأتحصل فيها على المال بعد أن صرفت أخر خمسة جنيهات كانت في جيبي على سندوتشات الفول والطعمية، لم أكن أعمل في تلك الفترة، بمعنى أصح كنت "صايع وعاطل" لكنني لم أشأ أن أخيب أمل صديقي فطالما وقف بجانبي وها قد حان الوقت لأرد له ولو جزءًا بسيطًا من جميله.

توجهت إلى أحد معارفي مقترضًا منه مائة جنية لأزيد بذلك دينًا جديدًا على ديوني السابقة، لكن علاء يستحق أكثر من ذلك بكثير.....

ناديت بصوت مرتفع "علاء علاء" من أسفل العمارة حيث لم أشأ الصعود إلى شقته في غيابه، دقائق معدودة وأطلت أخته نورسين[1] من الشرفة بشعرها الغجري الكستنائي لتخبرني بسفر أخوها، فبادرت مسرعًا بشرح سبب مجيئي طالبًا نزول ابنها أمير لأخذ الأمانة.

[1] نورسين: ضوء القمر

اضطررت للصعود بنفسي بعد اختلاقها مجموعة من الأعذار منها ذهاب والدتها وابنها إلى الطبيب، ترددت كثيرًا قبل أن أدخل الشقة ولكن إصرارها الملح شجعني على ذلك، فجلست على طرف الكنبة أتصبب عرقًا بعدما قدمت لي فنجان القهوة السحري، أخذت تحكي لي عن مشاكلها ومآساتها مع زوجها التي ازدادت بشكل فظيع فعادت بسبب ذلك إلى والدتها وبصحبتها أمير بعد أن طلبت منه الطلاق!.

أخبرتني بأن زوجها يكبرها بخمسة وعشرين عامًا، تزوجت به بعدما نهشت نظرات المتطفلين جسدها وقلبها بعد وفاة زوجها الأول والد أمير.

اشتكت لي عن إهمال زوجها لها وانشغاله بعمله وهي تقترب مني أكثر فأكثر، انقبض قلبي عندما ضغطت على يدي بقوة وهي تقدم لي فنجان القهوة.

أكثر ما أثار استغرابي مفعول تلك القهوة فقد أسكرتني بدلا من أن تفيقني، مع إنني كنت على إطلاع بسيط على مفعول القهوة بالرغم من ثقافتي الضئيلة فقد سمعت على إحدى القنوات الطبية أن القهوة منشطة ومضادة للتعب والإرهاق عن طريق تنشيط الجهاز العصبي المركزي بالدماغ، وقال الباحثون أن تناول كميات قليلة ولكن منتظمة من مادة الكافيين قد يساعد على اليقظة وعدم الإحساس بالنعاس لفترة طويلة... إلخ (كنت متابع جيد للبرامج الثقافية)

لكن أثر قهوتها كان مختلفًا تمامًا عن ما سمعته من أولئك الباحثين الثرثارين، فبعد ثاني رشفة بالضبط أصبحت غريقًا في بحر هواها، ذلك

البحر الذي حاصرني بمياهه العكرة من كل الجهات حتى لفظت أنفاسي الأخيرة معلنًا إستسلامي لها.

وفي عز غرقي في بحر جمالها ترائى لي خيال علاء يقف أمامي وهو يلومني على خيانتي له، فتولاني الجزع والفزع لأفر هاربًا بعدما تركتها عارية على الكنبة.

هرعت إلى غرفتي داسًا رأسي في مخدتي، لمت نفسي كثيرًا مرجعًا الخطأ إلى نفسي، فمهما كان، زمام الأمر الأول والأخير في يدي أنا.

اعتزلت في البيت عدة أيام حتى عاد علاء من سفره فتحاشيت مواجهته بعدما كنت قد خنت عهد الصداقة الذي ربطنا.

نورسين شرارة كبرى اشتعلت في صداقتنا لدرجة كادت أن تحيلها إلى رماد، صددتها، وبختها بحدة لكنني لم أستطع المقاومة أكثر فمهما كان أنا بشر!!

ولكن لماذا نبادر دائمًا بالتبرير قبل الإعتراف بأخطائنا، السؤال هنا هل التبرير جزء مهم من الجريمة؟ أم مجرد تبرير والسلام...

همساتها، لمساتها، حولت فنجان القهوة إلى مخدر أسكر عقلي وضميري.

ازدادت ضربات قلبي عندما كانت تمرر أصابعها المرمرية على صدري وهي تقول لي:

- أنا بحاجة إلى رجل مثلك ياوليد.

كرهتها كثيرًا بعدما استيقظت من سكرتي

لم أنم تلك الليلة، بقيت ساهرًا حائرًا بين عقلي وقلبي، تمنيت لو لم أكن بتلك الشهامة التي جعلتني أقترض النقود من أجل والدته، فقد زدت، بشهامتي تلك، الطين بلة، أو بمعنى أصح أنا من بللت الطين وأنا من زدته بللا.

ذبحني إحساس الخيانة، فأخذ يطاردني طوال الوقت ليزداد حجمه كلما التقيت بعلاء سائلا نفسي بكل احتقار هل أنا من يعرف الضمير وعذابه؟

وأخيرًا شاء الله أن تأتي تلك الليلة التي استيقظ فيها ضميري رافضًا النوم أكثر بعدما ارتشفت فنجان قهوة من يد والدتي. ليستقبل جهازي العصبي مفعولها الحقيقي، فاتصلت بها رابط الجأش قائلا بحسم:

- انس كل شيء ولا تحاولي الاتصال بي مجددًا فصداقتي بعلاء أحلى وأغلى من شهوة شيطانينا.

وها هو الماضي يتجلى أمامي فجأة بعد كل تلك السنوات حينما اقتربت شيطانتي من علاء وهي تقول له:

- عرف صديقك وليد على زوج أختك يا علاء.

مددت يدي أصافح زوجها بإشفاق، فمن المؤكد أنه لا يعلم شيئًا عن قهوة زوجته تلك!!

أنثى مقيدة

الجميع يظن أنها عاشقة للحرية لذلك ترفض أي ارتباط يقيد حدودها، الجميع يظن أنها لا تريد لأي شخص أن يتحكم في وقتها وتفكيرها، الجميع يظن أنها أنانية تحب نفسها أكثر من أي شيء آخر لدرجة تجعلها تخاف على تلك النفس الغالية من لوعة الحب وسهر الليالي!

الجميع يظن أنها مجنونة!! ولا يعرفون أنها في منتهى العقلانية..

فقد احتفظت بقلبها لشخص واحد فقط ليكون هو رجلها الأول والأخير... صحيح أنها لا تعلم من هو؟ ما هو اسمه؟ من هي والدته؟ من هي أخته؟.... لكنها مؤمنة بأن الأقدار تخبئه لها كما خبأت نفسها له، لذلك عاهدته أن لا تحب قبله أحد ولا بعده أحد، وها هي ترجوه أن لا يتأخر ولكنه تأخر.. تأخر.. وطال انتظارها مع بقايا أملها.

وفجأة اكتشفت أنه كان أمامها في الوقت الذي كانت تنتظره فيه، اكتشفت أنها كانت تقابله مرة كل أسبوع تسمع أحاديثه وتشاركه مناقشاته، ولكنها لم تفكر في إعطاء نفسها الحق بالتفكير به يوما!! أوربما قد فكرت به لكنها قررت أن لا تعاود التفكير فيه مرة أخرى.

ومرت الأيام وانقطع الإتصال بينهما حتى تلك المرة اليتيمة التي كانت تراه فيها كل أسبوع لم تعد!

بلغها أنه سأل كثيرا عنها وأن سؤاله لم يكن مجرد سؤال وحسب بل كان ممزوجًا بقلق ولهفة ، وبالرغم من قلقه عليها إلا أنها كذبت إحساسها واعتقدت أنه مجرد سؤال فقط بسبب اختفائها.

وبعد حوالي تسعة أشهر التقت به صدفة عندما دخلت المكتب تستفسر عن شيء فاقترب منها متناسيًا منصبه الذي يمنعه من التعامل بهذه الطريقة مع ال...

وبشكل تلقائي ألقى التحية عليها ولكنه أطال السلام فظلت يدها في يده قرابة الدقيقتين وهو يسألها عن سبب اختفائها!

بدا قلقه عليها وتقديره لها وبدا عليها مشاعر إنسانية لا مسمى معين لها ..لكنها كانت سعيدة جدًا ويدها في يده!!

لم تكن تعلم أنها تحبه ربما لم يعلم هو أيضًا أنه يحبها لكنهما سعيدان وذلك يكفي!

كانت لا تستطيع أن تمنع نفسها من الوقوف خلف زجاج المبنى العاكس لتودعه في صمت وهو يركب سيارته، لم تجد لتلك الحركة تفسيرًا مقنعًا ولكنها استطاعت أن توهم نفسها بأنها مجرد عادة!!

كانت خجولة، قليلة الكلام، إنطوائية نوعًا ما، تؤمن باتصال الأرواح، فهي موقنة بإمكانية وصول الإحساس إلى الشخص الذي تفكر فيه دون الحاجة إلى الكلام معه لذلك كانت كلماتها معدودة بينما أحاسيسها غير محدودة!

مرت عدة أسابيع انشغلت فيها أو ربما أهملت واجباتها فلم تعد منتظمة كالسابق بالذهاب إلى ذلك المكان، إلى أن دخل فصل الشتاء بنهاره القصير وليله الطويل، ذلك الفصل الذي نلبس فيه الملابس الصوفية الثقيلة لتوفر لنا الدفء في ظل غياب دفء الحب!

وشاء القدر أن يلتقيا مجددًا كان مرتديًا بالطو أسود طويل في غاية الأناقة ... حينها أعلنت عشقها لفصل الشتاء بسبب أناقته غير المفتعلة بذلك البالطو الذي عكس رجولته المميزة!

كانت محبطة نوعًا ما ربما مرهقة أيضًا فلم تنم طوال الليل.. لمحته وهو يصعد السلم فمنعت نفسها من اللحاق به ربما لأنها لم تتوقع رؤيته في ذلك اليوم الذي لم يتسنى لها أن تهتم بمظهرها بشكل أفضل!!

لكنه كعادته كسر الحدود بينهما عندما توقف عن صعود الدرج وانطلقا معا في نفس اللحظة باتجاه بعضهما البعض!

كانت تقف مع زميلة لها تعرضت لحادثة مما أدى لكسر ذراعها الأيسر، كان يطمئن على تلك الزميلة فملأ بحنانه الجو فأخذت تتنفس من أكسجين حنانه واحتوائه للجميع..

لا تنكر أن تلك الزميلة رقيقة وطيبة، ولكن صفاتها الجميلة لم تمنعها من اشتعال شرارة الغيرة... ولكن غيرة من ماذا ولماذا؟ لم تكن تعلم، إنما هي غيرة وحسب!

في مكتبه جمعهما حديث هادئ، بطئ الرتم، فقد كان منشغلا ببعض الأوراق.. لكنها كانت بحاجة للجلوس بجواره حتى لو كان مشغولا!!

كانت تلك أول مرة يرى فيها دموعها، عندما لم تستطع السيطرة على نفسها فذرفتها وهي تتحاشى النظر إليه حتى لا تنفجر في البكاء.

حنانه غمرها وهو يطلب منها مسح تلك الماسات الثمينة والهدوء فهو لا يحتمل رؤية دموعها!

إلى هنا كانت الأمور طبيعية فلم يحدث شيء خارج الحدود ... فهو حنون وحسب وهي مرهفة الحس لا أكثر!!

وقفت خلف الزجاج العاكس تتابعه وهو ينطلق بسيارته إلى بيته التي تمنت أن تزوره يومًا لترى مكتبه الذي يكتب عليه ذلك العظيم جواهره النادرة!

هذه المرة سيطر عليها طيفه فأخذت تفكر فيه طوال طريق عودتها وفجأة قررت كتابة رسالة إليه...

(خذ بالك من نفسك في الطريق لأنك أغلى وأحن صديق)

كتبتها بتردد فخافت أن تكون قد تجاوزت بذلك حدودها معه لكن تلك الرسالة قد تجاوزت فيها حدود الإحساس فقد تعرض لحادث سير بسيط أثناء عودته!!

اتصل بها يشكرها على خوفها عليه وأخبرها بأنها لم تكن مجرد رسالة وحسب لدرجة جعلته ينسى تلك الحادثة وينشغل بالبحث عنها في الكرسي المجاور.

كانت تلك الرسالة القصيرة ذات الحروف القليلة والإحساس العالي شرارة بداية علاقة نادرة مثل النيزك يظهر مرة كل 76عام..

أضافها على بريده الإلكتروني بينما أضافته هي على الفيس بوك.. فكانت أولى رسائلها له...

(عندما سرقت من العالم لحظات بسيطة ولكنها تساوي الكثير بالنسبة لي أثناء جلوسي بجوارك في المكتب.. أخبرتني بأن صورة بروفايلك على الفيس بوك هي صورة قديمة لك قبل تعرضك لذلك الحادث الفظيع أيام المظاهرات وأني سأجد فرقًا واضحًا عندما أراها... ولكن ما أريد أن أخبرك به أنني بالفعل قد وجدت فرقًا كبيرًا بين ملامحك في الصورة وملامحك الآن والفرق هو أنك أصبحت أكثر نضوجًا ورجولة.. لا تستغرب أنني لم أهتم بذلك الجرح الذي غطى جبينك ولا الغرز التي جمعت شتات أنفك فكل تلك محاولات للإحتفاظ بملامح بطل قد أراد الظلم أن يحرمنا منه يومًا ما ولكن القدر أبى أن يحقق لهم حلمهم.. صديقي الغالي قد تتبدل ملامحنا وقد تكسو التجاعيد جلودنا ..كل ذلك طبيعي؛ فهناك عمر افتراضي للشباب والجلد.. ولكن ما أؤمن به أنه لا تاريخ صلاحية لقلوبنا وأرواحنا.. فأكمل طريقك بنفس نشاطك وحيويتك وابتسامتك التي تبعث الطمأنينة لكل خائف.. ولكن تذكر دومًا أنه

من أبسط حقوقك أن تحظى ببعض الحنان الذي عكفت دومًا على توزيعه لكل من حولك من خلال طاقتك الإيجابية فحتمًا من حقك أن تحظى بعشر ذلك الحنان)...

(صديقتي الجميلة الرائعة أشكرك على هذه المشاعر الجميلة التي ظننت أنها لم تعد موجودة في هذا الزمان فقد أبكتني كلماتك وافاضت الدمع من عيني وأسعدتني، لكِ حبي وتقديري يا أغلى الناس.)

(كثير منا يحكم على دموع الرجال بالضعف.. ولكن من وجهة نظري المتواضعة أرى أن تلك الدموع قوة فهي نعمة لم ينلها الكثير من الرجال للتعبير عن مشاعرهم.. فقد بكى رسولنا الكريم في حزنه.. ولكن الرجل الذكي يعرف متى وأين ومع من يذرف تلك القطرات الغالية لأنه مع الأسف لم يعد من يقدرها ويحكم عليها بالضعف وأشياء أخرى تشوه معناها الحقيقي!

إذا ذرفت عيناك يومًا دمعًا فتأكد أنك تملك بداخل جسمك نسبة من المواد السامة التي من حكمة ربنا جعلها تخرج على هيئة دموع والعجيب أن تلك المواد تتكون في حالات الفرح والحزن ، فلا تستغرب عندما تشعر برغبتك في البكاء عند فرحك، بل تصرف بكل تلقائية واذرف دموعك وعبر عن مشاعرك لكن بشرط أن تخرجها أمام من يقدرها ويقوم بمسحها بمنديل الأمل والإحتواء.. لن أعتذر إذا كانت كلماتي هي السبب في دموعك ولن أقول لك لا تبكِ فأنا سعيدة لأنني جعلتك تتخلص من تلك المواد السامة التي سكنت جسمك واحتفظت بها طويلا بداخلك.. حتى جاءت كلماتي

فكانت مجرد سبب غير مباشر.. لا تستغرب من طريقة تفكيري ولا من أسلوبي في الحياة فقد علمتني أن أفكر بعقلي وقلبي معًا قبل أن تعلمني أن أفكر تفكيرًا علميًا!!)

(أصبحت أعشق شخبطاتك الرائعة لأن بها عمق شديد وفلسفة أكبر كثيرًا من سنك، لكنني مثلك تماما لا أنظر للعمر ولكن بالحكمة والعقل يكون عمر الإنسان.. لقد تأخر لقاؤنا كثيرًا ولكنني أحمد الله على هذه الصداقة الصادقة)

(نعم لقد تأخر لقاؤنا كثيرًا فقد انتظرتك ربع قرن من الزمن.. ربع قرن كانت أيام طفولته بريئة ومراهقته عنيدة خائفة من مواجهة تغير تلك الهرمونات وحيدة.. ولكن مرت الأيام وتقابلنا منذ عام ولغبائي اكتفيت بمختصر الكلمات معك لخجلي المقيت الذي يعتبر جزءًا من شخصيتي.. لكنني لا أنكر أنني فكرت كثيرًا في أخذ رأيك في عدة أمور أو طلب مساعدتك في إسداء نصيحة لي.. لكنني فضلت أن أتدبر أموري بنفسي لأترك لك مزيدًا من الوقت للإهتمام بنفسك أكثر.. فقد لمست في عينيك مزيجًا من التعب والهم الذي يقرر أن يلمع بين الحينة والأخرى لعدة ثوانٍ ثم يختفي ..

لا تفكر في قضية تأخر لقائنا فالماضي لا نستطيع لومه والمستقبل لا نعرفه ولكن الحاضر حاضرنا حتى لو كان عدة ثوانٍ! فعمر الإنسان عزيزي لا يقاس بالسنوات التي عاشها بل يقاس بعدد لحظات سعادته.. أريد أن أشكر هذه التكنولوجيا التي جعلتني أتحرر من خجلي وأكتب لك مجموعة من الشخابيط ..صداقتك وسام على

صدري.. فإذا تبدلت تلك الصداقة يومًا ستصبح تاجًا على رأسي.. وكلٌ من الوسام والتاج مهم بالنسبة لي.. عامك أمل وحياتك أمل.. فلا تنس أن تهبني قليلا من ذلك الأمل!)

عشرة دقائق كانت هي مدة احتفالها برأس السنة عندما اتصلت به في تمام الساعة 11:50مساء ليكون أول شخص تسمع صوته في عامها جديد!!

فاجأها وهو يخبرها بأنه سيزورها في الغد هو وأخته ، لم تعرف كيف تعبر عن فرحتها قائلة: من جد؟ أنا مرررة فرحانة ربنا ما يحرمني منك.

انطلقت بعدها تحضر لتلك الليلة التي لم تحلم بها أبدًا فقد كانت بسيطة في كل شيء حتى في أحلامها!

بعد عدة ثوانٍ فقط عاودت الإتصال به تسأله إذا ما كانت أخته في مقاس جسمها أم أصغر؟ استغرب من سؤالها لكنه أجابها

(أصغر مقاسًا)

كانت تؤمن بأن (الطريق إلى المنزل أجمل من المنزل) إلى أن غيرت تلك الليلة الكثير من اعتقاداتها واهتماماتها وتحررت أخيرًا من قفص الطفولة المتأخرة إلى سماء الأنوثة المتحررة!

كانت تلك أول مرة تستقبل فيها ضيوفًا أو بمعنى أدق أول مرة تتولى فيها مسؤلية استقبال ضيوف فكل المسؤليات كانت دائمًا على

عاتق والدتها التي أفرطت في تدليلها... ولكن أخيرًا قد أتى اليوم الذي تتحدى فيه نفسها وتتخلى عن دلالها!!

لم تشتر هدية له لأنها قد اشترت له من قبل وكأنها كانت متأكدة من أنه سيزورها يومًا ما، فاكتفت بشراء جاكيت شتوي رمادي ذو أزارير خشبية وزجاجة عطر لأخته التي كان يناديها "ميمي"

كل أركان الشقة كانت نظيفة، فكانت تنظفها كل يوم وهي تتخيله يزورها بشكل مفاجئ.. ولكنه لم يزرها، فتخلد للنوم لتستيقظ في اليوم الثاني فتنظف الشقة من جديد وهي مازالت تنتظره في أحلامها!

ربما كانت المسؤلية أكبر منها قليلا لكنها صممت على أن تطبخ بنفسها وأن لا تستعين بأي مطعم، لا أدري لماذا جازفت بتلك الدرجة فهي لم تكن صديقة المطبخ؛ كل علاقتها به الأكل فقط دون محاولة صنع ذلك الأكل!!

لم تمانع من الإستعانة (بصديق) أو بمعنى أدق (أم) فكانت والدتها معها على الهاتف تصف لها بدقة طريقة صنع كل طبق تريد تحضيره ، ليس ذلك وحسب بل كانت معها في كل شيء حتى طريقة التقديم التي لم تكن تعرف عنها الكثير!

ألقت بجسدها المنهك على السرير في تمام الساعة الثامنة صباحًا بعدما أنهت كل شيء حتى أدق التفاصيل الصغيرة.

استيقظت الساعة الثانية عشرة ونصف ظهرًا لتتفاجأ بعشرات المكالمات منه ، دعكت عينيها وهي تحاول نفض آثار النوم ..

فجاء صوته نشيطًا وهو يقول: – إحنا قلنا غدا مش عشا!

صدى ضحكاتها مازال يتردد في أذنه حتى قابلها ليجدها مختلفة تمامًا عن السابق، فبدت طاغية الأنوثة من وجهة نظره بتلك التنورة القصيرة السوداء والكعب العالي المثير!

كانت متوترة لكنها استطاعت أن تسيطر على نفسها ورحبت بهما بشكل لائق..

أهم طبق بالنسبة له (الحساء) فلم تنس أن تعده له بالطريقة التي يفضلها مع قليل من التجاوزات كإضافة الجزر المبشور والبقدونس..

لم تأكل يومها شيئًا منذ استيقاظها لكنها لم تشعر بالجوع بتاتًا واكتفت بتقديم الطعام لهما وتلبية احتياجاتهما...كانت تراقبه وهو يأكل؛ فهي مؤمنة بمجموعة من الإعتقادات التي تقيم من خلالها شخصية الرجل.. طوله، طريقة أكله، طريقة مشاهدته للتلفاز.. فمثلا تعتقد من كان طوله 185سم عصبي المزاج يفضل ممارسة الجنس بشيء من العنف...

لكنها فشلت تلك المرة في اكتشاف خبايا شخصيته من طريقة أكله، صحيح أنه كان يأكل بسرعة لكن ذلك لا يعني أنه قليل الصبر أو عصبي بل يمكن أن يكون بسبب انشغاله بتلك المكالمة التي صرح أنها من مسؤول مهم في الدولة!

طلبت منه أن يذهب ليرتاح قليلا ويتركها مع ميمي، فابتسم وهو يتجه لغسل يديه، كانت تنظر إليه وكأنها أول مرة تراه فيها بل ربما

كانت بالفعل تلك أول مرة تراه على طبيعته فهو بشر يأكل ويشرب ويغسل يديه ويجففها أيضا!

أتى صوته دافئًا وهو يسألها عن الفوطة ليعيدها من ذلك العالم الآخر الذي سرحت فيه... فأشارت بيدها خلفه حيث كانت بيضاء مطوية على شكل مستطيل.. فكل شيء جاهز للترحيب به، جفف يديه وهو يشكرها على اهتمامها وكرمها.

على سرير يتسع لشخصين جلس وهو يتجول بنظره في أرجاء الغرفة فقد أدخلت تلك البالونات والزينة التي على الحائط السعادة إلى قلبه فشعر وكأنه طفل تحتفل والدته بعيد ميلاده السادس!

مجموعة من الهدايا كانت على السرير... هدية له، هدية لميمي، هدية لأطفاله الثلاثة!!

نعم لقد كان متزوجا ولديه من الملائكة ثلاثة.. بنتان وولد..

قبلت جبينه قبل أن تهم بالإنصراف لكنه أمسك بيدها اليسرى وطبع قبلة دافئة عليها!

كانت قد نست ميمي في المطبخ تجمع الأطباق وبقايا الطعام ولم تكن تعلم كيف اعتادت عليها بتلك السرعة مع أنها ظلت طوال الليل متوترة من لقائها بها لا به!!

ربما لأن أغلب الفتيات حادات الطباع في هذه الأيام لكن ميمي رقيقة، حنونه مثله، نظرات عينيها حالمة لكنها مازالت تحمل بقايا حزن على فراق والدتها التي ودعت الحياة منذ أسبوع فقط!

عادت تبحث عنه لتسأله إذا ما كان يريد شايًا أو قهوة لكنها لم تجده في تلك الغرفة ووجدته في غرفة أخرى (الظاهر العم أخذ راحته على الآخر)

وقفت أمامه تبتسم بخجل وهي تسأله : – شاي أم قهوة؟

لكن إجابته كانت مختلفة تمامًا ربما فريدة من نوعها أيضا فقال وهو يبادلها نفس الإبتسامة : – أحبك

– ماذا؟

– أحبك ... ثم أمسك بيدها اليسرى أيضا وقبلها .

تساءلت بخجل : – لكنني لم أتوقع ذلك أبدًا فلم يبدو عليك آثار الحب وتوقعت أنه مجرد اهتمام فقط!

– كنت في صراع بين مبادئي وعواطفي بين عقلي وقلبي ولكني قررت أخيرًا الإعتراف لك دون مبالاة بالعواقب فأنا أحبك وهذا يكفي.

سيطر عليها خجل ممزوج بتوتر فربت عليها بحنان وكأنه يطمئنها ويهدئها، كم هو جنتل ذلك الـ man

لم تلحظ ميمي شيئًا ربما لأنها كانت منشغلة بتحضير الشاي، أوربما لأن الوقت الذي جمعهما لم يتعدَ الثواني!!

ملأت ميمي غلاية الماء بينما وضعت تلك العاشقة فنجاني الشاي في صينية بعد أن مسحت آثار الماء بالمناديل.

أخرجت الحلويات الشرقية من الثلاجة وما أن أغلقت بابها حتى وجدته يقف أمامها لم تكن متأكدة إذا كان هو أم مجرد طيف يحيط بها من جميع الجهات!

ابتسامته كانت لاتفارقه حتى أن ملامحه بدت أصغر بعشر سنوات.. ترى هل للحب طاقة سحرية تحي أرواحنا من جديد بعد أن خنقتها الأيام والأحزان؟؟

Tea time في حوالي الخامسة مساء مع أنها لم تقصد أبدًا أن يكون النظام انجليزي لكن مواعيده لم تسمح بزيارتها أكثر من ساعتين!

لم يكن ذلك المفكر العظيم من عشاق (الكافيين) فلم يرتشف من فنجانه إلا القليل بينما أنهت ميمي فنجانها في ثلاث دقائق!

لم يكن أيضا ذلك المفكر من عشاق الحلويات فاكتفى بقضمة من فطيرة القرفة وكذلك أخته لم تأكل سوى قطعة صغيرة من الكنافة بالقشطة..كانا متشابهين ومختلفين في الوقت ذاته.

مر الوقت سريعا بالنسبة لها كان كحلم وردي تمنت أن لا تفيق منه أبدًا وأن تتوقف الساعة حتى يظل معها للأبد!

لكن ليس كل مايتمناه المرء يدركه؛ فاستأذن بالإنصراف بعد مكالمة والدته التي كانت تستعجله فيها لمقابلة الضيوف الذين أتوا لتعزية ميمي، فميمي أخته من والده وليست شقيقته!

اتجها نحو الباب لكنها سرعان ما ذكرته بالهدايا فذهبت معه إلى الغرفة، الغريب في الأمر أنه أخذ هديته وهدية أطفاله ولم يأخذ هدية أخته وطلب منها أن تقدمها لها بنفسها!

ضمت ميمي وقبلتها وبداخلها أمنية ضمه هو أيضا! ترى هل كانت هذه أمنيته أم مازال عقلانيًا؟.. وقفت تودعهما حتى ركبا المصعد واختفيا من نظرها.

دخلت غرفتها فوجدت الصمت والهدوء قد سيطرا على جدرانها، وجلست على سريرها تسترجع ذكريات ذلك اليوم الذي غير مسار حياتها فجاءها صوته وهو يهمس لها (أحبك) فأخذت تبحث عنه هنا وهناك لعلها تجده لكنها لم تجد سوى الوحدة القاتلة التي عاشتها في الفترة الأخيرة بعد سفر والدتها إلى الإسكندرية للإعتناء بأختها الكبرى بعد ولادتها.

لم تفقد تلك العاشقة الأمل وظلت تبحث عنه في صمت وعندما لم تجده، انطوت في مكانها وبكت..كانت في قرارة نفسها تعلم سبب بكائها فهي لم تبكِ من شوقها له فلم يغب عنها سوى بضع دقائق وإنما بكت خوفًا من المستقبل الذي سيحرمها منه يومًا ما!!

صبرت نفسها قائلة:- لو علم ببكائي لأتى راكضًا يمسح دموعي لكنه لا يعلم الغيب لأنه مجرد بشر.

وفجأة رن جرس الباب فمسحت دموعها وهي تمسك بمقبض الباب : - من؟

فإذا به (حبيبها) صاحب الصوت، صاحب الإحساس والحنان والمشاعر الراقية... أجاب على تساؤلات عينيها التي كانت تقول "لماذا عدت؟"

:- لقد نسيت مفتاح السيارة.

في البداية ظنت أنه يكذب وأنه عاد فقط من أجلها لكنه صدق فمفاتيحه كانت على الطاولة لكنها لم تنتبه لها!

اقترب منها فتراجعت بخطواتها إلى الخلف حتى أسندت ظهرها على الحائط، ضمها بقوة كادت تحطم قفصها الصدري فدست رأسها في صدره وهي تقول في صمت "أحبك"

التفت ذراعاه حولها بقوة أكبر حتى تأوهت... فهمس في أذنها قبل أن ينصرف أنه يحب ثلاث فتيات وهي الرابعة وقريبا سيتزوج بهم.. بمعنى ذلك أنه سيصبح زوجًا لخمس نساء!!

بكت، غضبت، وقررت أن تمحيه من حياتها بعد أن تلاعب بمشاعرها.

هرعت إلى سريرها تهذي بالكلمات وهي تصرخ مشوشة الفكر..

قال لها أنت نسائي الأربعة!!

تساءلت:- لم أفهم اشرح لي أكثر.

- أنت أربع نساء في فتاة واحدة..

- أرجوك وضح لي..

ابتسم قائلا:- أنت أمي.. في حنانها في عطائها اللا محدود

أنت أمي في دفء صدرك وحنانك الصامت، أنت أمي في تشجيعك إذا نجحت وفي سهرك بجواري إذا مرضت، أنت أمي في سعادتك عند حضوري وقلقك ولهفتي عند غيابي، أنت أمي التي فقدتها بعد زواجي ومازلت أحن إليها كلما قتلتني وحدتي وأنانية زوجتي.

ابتسمت في خجل وهي تقول:- اعذرني لم أعتقد ذلك أبدا واعتقدت أنك مجرد خائن.. لكن صحيح ماذا عن الثلاثة الأخريات؟

- اسمعيني في صمت أرجوك..

أنت (حبيبتي العاشقة) التي تتفنن في سرقة قلبي وإثارة رجولتي، أريدك امرأتي اللعوب التي تبهرني بقوامها وعطرها كما تبهرني بأنوثتها وسحرها، أريدك أن تذوبي بين يدي عشقًا وشوقًا وهيامًا..

حبيبتي إلى الآن أنت أمي وحبيبتي هل تريدين معرفة المزيد؟

هزت رأسها في صمت وهي مستمتعة بكلامه وفلسفتة الراقية في الحب.

قال:- أنت (صديقتي) التي أشكو إليها همومي واستشيرها في أموري، أريدك صديقة تحفظ سري وتستر عيبي، لا أريدك زوجة تفشي سري وتفضح عيبي بين جاراتها وصديقاتها وأهلها، أريد عقلك وحكمتك.. لا لسانك وثرثرتك فيما لا يهمك، لا أريدك كثيرة الشكوى من أعباء المنزل ومشاكل الأولاد.. حتى أفضل ترك البيت وقضاء معظم الوقت مع أصدقائي كما هو حالي الآن مع زوجتي.

ابتسمت متسائلة :- ماذا عن الرابعة؟

- أريدك خادمة.

- ماذا هل جننت؟

قال:- لا تخافي أنا مازلت بعقلي لكنني أريدك خادمتي وحدي تعدين لي الطعام بيدك، ترتبين أغراضي بنفسك، أريد أن أرى لمساتك في أركان البيت، أريدك أن تعتني بملابسي ومظهري ومظهرك ومظهر أولادنا!! أريدك خادمتي حتى وإن كان لدينا خادمة!!

قالت:- اتفقنا.. سأقدم لك كل ذلك ولكن ماذا عنك. ماذا ستقدم لي أنت؟

أجابها ببرود: (أنا) سأقدم لك نفسي!..

بصمات الكاكاو

*ما أسهل أن تكون عاقلا . . بعد فوات الآوان.....

أريده.. أريده هو فقط.. ذلك الذي اقتحم فكري واجتاح مخيلتي، ذلك الذي أشتاق إليه، لهمساته، ضحكاته، وعذوبة كلماته..

ذلك الذي من أجله اعتصمت في غرفتي رافضة الطعام والشراب، بكيت كثيرًا حتى خيل لي أن دموعي قد نضبت...

فجاءت كلمات والدتي الحانية وهي تربت على كتفي بكل حنان وحب:

- ابنتي الحبيبة مازلنا نراك أنا ووالدك تلك الطفلة التي كانت تلهو بين أيدينا.. ورفض والدك للزواج من خالد مجرد خوف عليك.

صرخت بكل وقاحة:- لكنني أصبحت ناضجة بما فيه الكفاية لأخذ قراراتي واختيار شريك حياتي.

تتوسل أمي ويغضب أبي ويشرح أخي ولكن (أذن من طين وأذن من عجين)

***

في إحدى الندوات الدينية التقيت به... انبهاري بشخصيته وقتها لم يكن طبيعيًا فلم يحدث لي ذلك من قبل مع أي محاضر سابق... ربما كان السبب ثقافته، سياسته في الرد على الأسئلة، قدرته على كتم غضبه من ردود الحضور المستفزة، كل تلك كانت عوامل مهمة لجذب انتباهي.

تجرعت جرعة من الشجاعة قبل أن ارفع يدي مستفسرة مثل باقي الحضور

- أ/ خالد، أولا جزاك الله خيرًا على محاضراتك المفيدة والتي بالفعل قد بدأت بتغيير حياتي إلى الأفضل داعية الله أن يديم عليك نعمة الصحة والعافية، ثانيًا لدي سؤال بسيط وأود أن أجد لديك إجابة، باختصار أنا محجبة ولدي صديقة غير محجبة وحاولت أن أنصحها كما علمتنا لكنها لم تقتنع وطلبت مني أن أقدم لها سببًا مقنعًا وشكرا.

تحدث بكل وقار وحياء:- في البداية أختي الكريمة تقبل الله منك ما فعلتيه وجزاك الله خير الجزاء على ذلك.. أما بخصوص صديقتك والحجاب فبكل بساطة لو قدمت لك قطعتين من الشكولاتة إحداهن مكشوفة بلا غلاف والأخرى جديدة بغلافها أي منهما ستختارين.

- من المؤكد المغلفة
- لماذا أختي الفاضلة؟

- لأن الغلاف يحميها من الأتربة والذباب ويحفظها إلى حين فتحها.

- أحسنت وتلك بالضبط الإجابة على سؤال صديقتك فالفتاه يا أختاه مثل قطعة الجوهرة يجب علينا الحفاظ عليها من أعين الناس حتى لا تفقد بريقها وبالتالي الفتاة مخلوقة لشخص واحد فقط له الحق في رؤيتها ولمسها والتمتع بمفاتن جسدها فالحجاب يقوم بحفظ جمالها وبريقها لذلك الشخص .

إجابته تلك أراحتني وجعلتني أشعر بأن اللذة والسعادة في الدين، فعكفت على حضور جميع محاضراته وعدم التردد في الإستفسار عن الأمور الدينية التي بدأت تسيطر على اهتماماتي.

Khaled_adul@yahoo.com ذلك البريد الإلكتروني وجدته على الكارت الذي قدمه لي الأستاذ خالد بعد انتهاء محاضرته التي كانت بعنوان (الحب في الإسلام)

فلم أتردد أبدًا وقتها في إرسال إيميل شكر له...

وهكذا توالت الإيميلات والأسئلة والإجابات، إلى أن انتقلنا لمرحلة جديدة بعد مرحلة الإستشارات.... (مرحلة التعارف) وفي هذه المرحلة فكرت بطريقة عاطفية بحتة على حسب تقسيم أنواع التفكير عند العالم (ماكس فيبر) حيث قمت بتغييب عقلي تمامًا وانجرفت بعواطفي ومشاعري لأجد نفسي غارقة في هواه.

أستاذ خالد إنسان مثقف، ذكي، حاصل على درجة ماجستير في العلوم السياسية بالإضافة إلى كونه محاضرًا دينيًا متميزًا في مجاله كل تلك مميزات عظيمة تتمناها أي فتاة في شريك حياتها.

***

تقدم خالد لخطبتي بعد شهر ونصف فقط من تعارفنا، حتى أنني طلبت منه مزيدًا من الوقت لنتمكن من التعارف على بعضنا بشكل أفضل ولكنه رفض وأقنعني أن ذلك غير جائز من الناحية الدينة وأن مشاعرنا يجب أن تكون طاهرة وشريفة في النور.

في البداية أعجب به والدي ولكن مع مرور الأيام بدأ إعجابه به يقل تدريجيًا بسبب تصرفات خالد وتشدده.. الأمر الذي جعل والدي يصطدم به أكثر من مرة.. أولها عندما طلب مني التوقف عن الدراسة الجامعية والتفرغ لحياتنا الزوجية فما كان من والدي إلا أن رفض بشدة وقرر فسخ الخطوبة ما أعقله من والد وما أحكم قراراته، فوالدي العظيم كان متبعًا لنمط التفكير العقلاني عند العالم (ماكس فيبر) الذي أصبح ضيفًا عظيم في هذه القصة ... قصة زواجي..

وأخيرا حدث ما رفضه الجميع... وتم الزواج بذلك الشخص الذي أحببته أو بمعنى أصح الذي اخترته بنفسي وياليتني لم أقم بذلك!

عش الزوجية شقة فخمة بالزمالك...

كنت أسعد إنسانة في الوجود، عشت معه أجمل أيام حياتي حتى أنني نسيت وجودي، كياني، دراستي، وتخليت عن كل التفاصيل

الصغيرة التي كانت تسعدني من قبل فخيل لي أنني وجدت معه سعادتي ولكنها للأسف كانت سعادة وهمية.. سعادة زائفة مؤقتة لم تدم أكثر من عدة شهور لتنقلب بعدها حياتنا رأسًا على عقب وأفاجأ بنفسي أمام دوامات التعاسة التي غرقت فيها باختياري الخاطئ...

خطواتي كانت غير متزنة حائرة بين قلبي وعقلي... بين طموحي وزواجي.. مع أنني لم أشعر عند ارتباطي بأن موضوع الدراسة يشكل أهمية كبيرة في حياتي ولكن مع الأيام وتعرفي أكثر على شخصية خالد ندمت على كل أحلامي المجهضة التي تنازلت عنها بكل سهولة، حينها أعلنت مشاعري تمردها ورفضها لذلك الإستسلام المقيت مقررة عدم الاستمرار في أي طريق مظلم بلا معالم واضحة وبلا إشارات مرور مضيئة.

فكان أول موقف في حياتي الزوجية... وكأن قسوة خالد جعلتني أكثر نضوجًا، أكثر جرأة عندما تركت له عش الزوجية وعدت إلى بيت أهلي، بكيت بحرقة وأنا أحكي لأمي عن رفض خالد لموضوع العملية.. (إزالة تكيس المبايض بالمنظار).. ذلك التكيس الذي حرمني من نعمة الأمومة... رفض العلاج معللا أن الشافي هو الله عز وجل وأن هذه حكمته فلا يجب علينا الإعتراض عليها.. أي اعتراض ذلك الذي يتهمني به فأنا إنسانة مؤمنة بقضاء الله وقدره!...

يا إلهي كم كانت أمي سلبية معي، باردة، غير متفاعلة مع مشكلتي.. فقد طلبت مني وبكل بساطة الصبر فالله مع الصابرين، ربما لم تكن سلبية بل دبلوماسية لدرجة أنها لم ترد أن تجرحني فأنا

المسؤولة عن اختيار ذلك الزوج الغريب الذي يرفض العلاج إلا في حالة كون الأمر خطيرًا جدًا ويستدعي تدخل الطبيب فلا بد أن تكون طبيبة فقط هي التي تقوم بالكشف عليَّ!

صبرت... ثم صبرت... ثم صبرت.. ومازلت صابرة ولكن ما الجديد... أنا أسأل ما الجديد وما من إجابة سوى إصرار خالد على عودتي إلى المنزل وتمسكي أنا بموقفي بحلم الأمومة.

مرت الأيام وأنا في بيت والدي معلقة بين سماء الزواج وأرض الطلاق أحمل لقب زوجة، مجرد حبر على ورق ليس أكثر من ذلك.

واعتاد أهلي على فكرة وجودي معهم، ذلك الإعتياد الذي جعل عجلة حياتهم تدور من جديد بعد أن كانت قد توقفت لفترة وجيزة بسبب رفضهم التام لفكرة ترك بيت زوجي محاولين بذلك حل مشاكلنا لكن بلا فائدة تذكر.

عاد والدي لتجارته، وعادت أمي لتحضير ألذ الأطباق وتدليلنا كأطفال صغار، وعادت أختي لإزالة طلاء أظافرها الأرجواني بعد عودتها من الجامعة لأداء صلاة العصر، وعاد أخي الكبير لحبيبته نسرين، وعدت أنا إلى غرفتي الصغيرة تائهة بين الماضي القريب والحاضر البعيد..

كنت أتخيل كل طفل أراه طفلي، وكل أم أقابلها أنا، فحلم الأمومة سيطر علي وأصبح كل ما أتمناه من هذه الدنيا... طفلا أحمله بين ذراعي، أرضعه من ثدي، أزرع فيه ثقتي المهزوزة وأحلامي

المسروقة، طفلا تلمع عيناي عند أول مرة يقف فيها ممسكًا بيديه حافة الطاولة، طفلا يدق قلبي وهو ينطق كلمة "ماما" لأول مرة، طفلا يستنفذ صبري وهو يرسم على جدران البيت بالألوان الشمعية، طفلا عشق الكاكاو فتسببت بتسوس أسنانه اللبنية!

وأخيرًا وبعد طول انتظار تحقق حلمي فأنا الآن أقف أمام ممرضة لطيفة نوعًا ما تحمل أوراق تحاليلي التي تؤكد إيجابية نتائج الحمل.

من المؤكد أن حلمي لم يتحقق من تلقاء نفسه كما كان يحاول خالد إقناعي عبثًا بأنه سوف يتحقق يومًا ما بدون تدخل الأطباء، كم هو ساذج ذلك الخالد أليس الله الخالق الداء والدواء!!

خطف خالد من الممرضة ورقة التحاليل ليتأكد بنفسه من تلك النتيجة ولسانه يردد:- ألم أقل لك أن الصبر مفتاح الفرج؟

تساءلت في حيرة:- هل فعلا حقق الله حلمي؟ هل العملية التي قمت بها من وراء زوجي قد جنت ثمارها؟

تلك العملية التي رفضها وبشدة ، وقام بتحريمها معلنًا بذلك حكمًا شرعيًا جديدًا لا يستهان به.

لا أنسى موقف أختي البطولي عندما أصرت على قيامي بهذه العملية بعد سؤالها لعدة علماء دين عن الحكم الشرعي، وعندما تأكدت بأن العلاج لا علاقة له بالتحليل والتحريم، أمسكت بيدي وأنا أرتجف قبل دخولي غرفة العمليات وشدت من أزري وهي تحدثني عن المستقبل الذي سوف ينتظرني بعد قدوم طفلي ...

هكذا تمت العملية بكل سرية وكأنها عار يجب أن يختبئ ويدفن رأسه في التراب.

بكت أمي وهي تقبل جبيني بعد خروجي من غرفة العمليات قائلة:- لقد دفنت شبابك مع ذلك العجوز المتشدد فقد حرم عليك كل شيء حتى العلاج.

قاطعتها أختي بطريقة لطيفة:- قريبا ستصبحين أمًّا وسيصبح كل ذلك مجرد ذكريات.

ابتسمت متفائلة بمستقبل أفضل وحاضر أسعد، فمن منا لم يبتسم وجرحه ينزف وروحه تتألم .....من منّا؟؟؟؟

عدت إلى بيت الزوجية بعد التئام جرحي وعودة دمائي إلى شرايني، عدت وأنا أحمل بداخلي بذرة صغيرة لحلم كبير تمنيته أن يتحقق يوما ما...

***

الإستلقاء على ظهري والراحة التامة حسب تعليمات الطبيب كان روتين حياتي الجديد، وبالرغم من الملل الذي انتابني في تلك الفترة إلا أنني كنت سعيدة جدًا بعد أن ملأ حياتي الأمل، وعلت وجهي ابتسامة حالمة.

كنت أسعد امرأة في الوجود ، لأنني أخيرًا قد تحقق حلمي الذي كان يداعبني كثيرًا، كلما وضعت رأسي على الوسادة تدمع عيناي

يأسًا لأني فقدت الأمل، ولكن الحمد لله قد تبدل بي الحال الآن فلا دموع بعد اليوم.

تكورت بطني أمامي مع دخول الشهر الرابع في بادئ الأمر استغربت منظرها محاولة إخفائها عن أنظار أهلي وخصوصًا والدي فكنت أرتدي كل ما هو واسع وفضفاض ولكن بلا جدوى فقد أبت تلك البطن الإختباء وكأنها أرادت أن يعرف الجميع بما تحمله داخلها.

ومع اقتراب شهر رمضان قدم لي خالد زوجي أحلى وأغلى هدية على قلبي (رحلة عمرة) لم أصدق نفسي يومها حتى أنني رقصت فرحًا بتلك البطن المنفوخة!.

ودعتني أمي ودموع فرحتها قد بللت خديها... حضنتها بقوة وأنا أعدها بأنني سأدعو لها هناك وسأحضر معي ماء زمزم من الأراضي المقدسة.

لم أنس أبدًا منظر والدي وهو يوصي خالد برعاية ابنته المدللة (أنا) ولم أنس أبدًا رد خالد عليه وقتها: أتوصيني بابنتك وهي زوجتي ووالدة طفلي.

***

استغرقت رحلتنا حوالي الساعة وخمس وأربعون دقيقة في الجو من مطار القاهرة إلى مطار جدة، ومن جدة إلى مكة المكرمة حوالي الساعة ونصف الساعة بالباص، كان خالد قد نام خلالها، في الوقت

الذي سرحت فيه متسائلة هل فعلا قد تبدل حال زوجي أخيرا؟ أم أنها مجرد فترة مؤقتة وسيعود لقسوته مرة أخرى؟

***

يا الله كم كنت متلهفة لرؤية الكعبة المشرفة فرحت أتخيلها طوال الليل حتى أنني لم أستطع النوم بالرغم من إرهاقي!

أي مشاعر روحانيه تلك التي انتابتني وأنا مقبلة على بيت الله؟ أي إحساس خالجني وأنا أطأ بقدمي عتبة ذلك المسجد؟ عظمة ذلك الموقف الرباني التي تجلت أمام عيني هزتني بالفعل.

بدأنا بالطواف من الحجر الأسود جاعلين الكعبة على يسارنا...

في الشوط الخامس شعرت بتعب بسيط فطلبت من خالد الجلوس قليلا لكنه رفض وأصر على متابعة الطواف وعدم التوقف، وبفضل الله انتهت الأشواط السبعة على خير وصلينا خلف مقام إبراهيم ركعتين، ابتهلت بالدعاء للرحمن وأنا مستقبلة الكعبة شعرت حينها وكأن الله يسمعني ويشعر بمدى حزني وتعاستي مع خالد فطلبت منه أن يبدل حالنا للأفضل فهو القادر على كل شيء.

تعطف ذلك الزوج العنيد وجعلني أجلس قليلا قبل أن نذهب للسعي، وفي طريقنا للصفا والمروة اقترحت عليه أن أقوم بالسعي على كرسي متحرك ولكنه رفض وبشدة ورأى أن ذلك سينتقص من أجر العمرة، حاولت إقناعه عبثًا أن الدين يسر وأن لدي رخصة فالطبيب طلب مني عدم القيام بمجهود كبير، ولكن بلا فائدة فالكلمة كلمته...

عند الصفا قرأنا قوله تعالى: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} (البقرة:158)، ثم استقبلنا الكعبة، ورفعنا أيدينا نحمد الله، ودعونا دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده)) ثم نزلنا من الصفا إلى المروة مشيًا حتى وصلنا إلى العمود الأخضر؛ عندها أسرع خالد حتى وصل إلى العمود الأخضر الثاني بينما مشيت أنا بخطوات بطيئة، ثم أكملنا المشي بشكل عادي حتى وصلنا المروة، فاستقبلنا القبلة، وقلنا ماقلناه على الصفا.

السكينة كانت تلف بي من قمة رأسي الى أخمص قدمي، تلك النسمات الروحانية التي داعبت وجداني، ذلك الشعور بالإنكسار والذل الذي شعرت به وأنا في بيت الله نبهني إلى حقائق كثيرة كنت غافلة عنها بحكم لهونا في الدنيا وجرينا المتواصل لتحقيق أغراض ومأرب دنيوية زائلة...

كررنا في بقية الأشواط ما فعلناه بالضبط في الشوط الأول.. ولكن في منتصف الشوط الثالث شعرت ببعض الألم يجتاح بطني وظهري، ظننت في البداية أنه مجرد ألم بسيط وسيختفي لذلك طلبت من خالد الجلوس قليلا، ولكنني تأكدت بعد ذلك أنني مخطئة عندما شعرت بازدياد الألم وتوزعه في جميع أجزاء جسدي فحاولت تمالك نفسي حتى أنني صرت أعض على أصابعي واكتم آهات عديدة كان قد ولدها

الألم، وفجأة فقدت السيطرة على كتم ألمي بعد أن تملك جسدي النحيل حتى شل حركته، أمسكت يد خالد بقوة ظنًا مني بأنه سيحتويني، ولكنه خيب ظني عندما أبعد يدي بقوة بحجة الناس.... والحرم المكي.... وغيرها من الحجج الغريبة التي ملأ حياتي بها.

لم أستطع الوقوف أكثر عندما ازداد الألم حتى خيل لي أن هناك سكينًا حادًا بداخلي يقطع أحشائي بلا رحمة، تأوهاتي خذلتني فجن جنون ذلك الزوج الغريب محاولا كتم آهاتي بيده ... أي مبادئ وقيم وتقاليد تلك التي تحرّم علينا التعبير عن ألامنا وأوجاعنا؟ ألهذه الدرجة كل ما في المرأة عورة حتى (آلامها؟)..... صدقني يا زوجي العزيز ديننا برئ من كل ذلك التشدد والتعنت المبالغ فيه والذي لم أره أبدا إلا معك!!

لم أستطع أن أنسى أبدًا ذلك المشهد الذي أنساني ألامي للحظات ليصيبني بألم أكبر لا يمحيه زمن ولا يداويه طبيب...

ها هو حلمي الذي انتظرته طويلا وصبرت من أجله على الكثير لم يعد سوى سائل أحمر يغطي أرض الحرم المكي الشريف، سائل أحمر سيودعني بعد قليل ليستقر في إحدى بالوعات الصرف الصحي!

صرخت باكية وأنا جاثية على ركبتي بيدين ملطختين بالدماء: حرمتني من كل شيء جميل حرام عليك.

اهتززت بعنف وأنا أنهض من تلك البقعة التي ودعت عندها ابني الذي لم يكتمل، تلاقت أعيننا لثوانٍ قبل أن أنهال عليه ضربًا ملطخة إحرامه بدم ابننا الفقيد.

***

في الماضي .. كنت أقف على شاطئ خيالي عندما سمعت صدى صوتك من بعيد يناديني. فأبحرت بلا تردد على أمواج بحرك مع أنني لا أجيد السباحة.. همست لي في ظلام الليل بعبارات غرامك ولامستني بطيف سرابك... فلم أقو على الإنتظار... بعدما أوهمتني بعشقك الجنوني الذي لم يعشه أحد من قبل.. وخدعتني بقصورك الرملية التي لم يسكنها أحد من قبل...

لماذا لم تعترف بأنك مجرد رجل مثل غيرك من الرجال؟ لماذا إدعيت التفرد والتميز وأوهمتني بأنه لم يولد على الكرة الأرضية مثلك أحد من قبل!!

لا أنكر أنك قد جلبت الراحة والسعادة لنفسي، وحذفت احتمالات الكآبة والهم من توقعاتي، وأقنعتني بأن (الحياة جميلة)..

لكنك عزلتني بذلك عن العالم فلم أعد أرى غيرك.. ولا أسمع سوى كلماتك...

وجعلت بفلسفتك الخاصة حبنا حياة نحياها.. فأنسيتني نفسي وأهلي.. وأصبحت ظلا يلازمني في كل مكان.. مرضًا مزمنًا لا شفاء منه... سحرًا أسودًا مسيطرًا عليَّ...

مرت الأيام بي ما بين ظلك، ومرضك، وسحرك حتى أدرك عقلي المخمور أنك قد سلبتني.. قيدتني.. أسرتني..

فقررت الرحيل.. ورحيلي لن يؤجل.. سأرحل عنك وزادي هو الأمل.. أمل نسيانك.. فلا تسألني إلى أين أنا راحلة ؟؟ إسأل قلبك لماذا رحلت عنه؟ لماذا جرحت قلبا هواك؟ لماذا آلمتني وسقيتني الداء بدلا من الدواء الذي وعدتني به..

لا تستغرب، لا تتعجب، لا تستنكر، فرحيلي ليس قرارًا مفاجئًا أو متهورًا، بل هي حقيقة لا بد منها، حقيقة لم يكن لدي أدنى شك في حدوثها فقد انتظرت كثيرًا، واتخذت من الصبر مفتاحًا للفرج.. حتى أضعت مفتاحي في ذلك اليوم المشؤوم الذي اكتشفت فيه أنني كنت مغفلة مع مرتبة الشرف عندما عاملتك كملاك في عصر الشياطين.. فكان لابد أن أعلم منذ البداية أنك تمتلك بعضًا من أخلاق الملائكة وكثيرًا من أخلاق الشياطين!!.

لم أصدق وقتها أنك نفس الشخص الذي كان ينبض قلبي بإسمه، وتلمع عيناي برؤيته.. وها قد زالت الغشاوة عن عيني لأرى حقيقتك.... حقيقة شيطان على صورة ملاك برئ...

أرجوك دعني أرحل بعيدًا عن عالمك الملئ بالسواد الدامس... أرجوك إنسني وحررني منك ومن عالمك الباهت.

صدقني سأكون بأسعد حالاتي لأنني أخيرًا سأتحرر من سجنك وأدعك تكمل فيه وحدك مدة سجنك مع مبادئك القاتلة!!

زوجي الغالي علمتك فنون العشق وعلمتني فنون الكراهية فماذا تنتظر من امرأة قد سكن قلبها الحزن، وكتبت بدموعها سطورًا للألم، حتى أصبحت صرخة بلا صوت.. قلبًا بلا نبض.. ماذا تنتظر من امرأة قيود شجنها التفت حول معصميها حتى أصبحت رهينة له لا تنفك منه أبدا..

أرجوك دعنا ننفصل بهدوء ولا تطلب مني تبرير أسبابي أو شرح ظروفي.. فأنا أريد الرحيل وحسب.. أريد أن أرحل وأمحي كلماتك من بين سطوري، وعندها فقط سأنثر دموعي بين أغصان الياسمين التي أحرقها ظلمك، حتى أحاط بنا دخانها من جميع الإتجاهات.. إعذرني سأرحل فلا أحد يستطيع إرغامي على الاستمرار بالاختناق معك حتى ولو كان بدخان الياسمين!!

.....

بقايا عذراء

(انظر إلى أصابعك عندما تتهم إنسانا، إن إصبعًا واحدًا يشير إلى هذا الإنسان وأربعًا تشير إليك أنت)

أنيس منصور.....

هكذا كانت البداية... صرخة دوت في أنحاء القرية شدت انتباه الجميع ناحية البحر الصغير الذي يشق بلدة صغيرة بكفر الشيخ ... كان قد انخفض منسوب مياهه فظهر في الأعماق شيء غريب ... أشلاء جثة بلا رأس!!

لم يكن عفريتا ولا شبحا... وإنما جثة لفتاة ملفوفة داخل كيس أسود كبير بلا معالم، كانت مشوهة بعد أن مسحت المياه ملامح وجهها فبدت مخيفة!!

وتوالت الأحداث غامضة.... لقد قتلها ثلاثة وقطعوا جثتها ثم ألقوا بها في مصرف مياه لسبب المجني عليها كانت بريئة منه!!

رجال الشرطة رافقوا المتهمين إلى مسرح الجريمة بعد أن اعترفت سهير عليهم.

المجني عليها صفاء كانت قد دفعت الثمن مرتين:

أولا.. عندما اختارها القدر لتكن فتاة مختلفة عن بقية الفتيات.

وثانيا.. عندما أساء فهمها أقرب الناس اليها فكانت تلك بداية النهاية!

"صفاء لازم تموت الليلة... إحنا خلاص أخدنا القرار" قالها والدها بحزم مخيف.

قطرات من الدموع انسابت من عيني والدتها لتتحول إلى أنين خافت تقطعه شهقات كادت أن تمزق صدرها المشتعل.

وبلا سابق إنذار اقتحم الوالد والعم والأخ غرفة المجني عليها، فهبت صفاء مذعورة من فوق السرير وقد ارتفع نشيجها عاليا ليقطع الصمت من حولها ويحيل حجرتها الهادئة إلى مأتم حزين.

اقترب "عرابي" أخاها الكبير ... واقفا إلى جوارها قائلا بصوت غريب تسمعه لأول مرة :- بتبكي ليه؟

هزت كتفها بخوف ودموعها لا تزال تنهال بغزارة على وجهها البرئ ليصبح كخريطة مدينة محتلة!

عاد إليها الصوت المخيف مرة أخرى قائلا:- هدبحك بإيديا يا فاجرة.

توقفت دموعها فجأة وهي تنظر إليه فاغرة فاهها من شدة الذهول سائلة نفسها:- أين الحقيقة والواقع في وسط هذه المعمعة هل أنا أحلم ... أم أنه كابوس مرير سيقضي على حياتي!

حاولت التشبث بحياتها مدافعة عن نفسها بقوة لامكان لها في عالم الظلم

قائلة :- لماذا تريدون قتلي ماذا فعلت؟

نظر إليها عرابي بسخرية قائلا:- انظري إلى بطنك.

ثم انهال الثلاثة على رأسها بالعصا حتى أغمى عليها .. ليقوموا بعد ذلك بتوثيقهابالحبل استعدادا لتنفيذ حكم الإعدام!

هكذا نفذ القتلة جريمتهم قبل أن تدافع صفاء عن نفسها ... قاموا بخنقها بالإيشارب ثم قطعوا جسدها النحيل!

ارتفعت صرخات أمها وهي تنتحب بحرقة بوجه أسود كالليل..

:- آه ياصفاء آه يا بنتي.

وسرعان ما انقض عليها الأب كالنسر كاتما صرخاتها التي كادت أن تقطع سكون الليل الموحش الذي خيم على تلك القرية الصغيرة.

وضع العم جثة صفاء في كيس أسود كبير بعد أن مسح الأب الدماء التي غطت الأرض، ثم قاموا بوضعها في عربة أشبه بالمتوسيكل معروفة عند الأهالي "التك تك" كان يعمل عليها عرابي.

وكانت بصمتهم الأخيرة بإلقائها في أحد المصارف الصحية معتقدين بذلك أنهم قد تخلصوا من جريمتهم إلى الأبد ولن يستطيع أن يكتشفها أحد.

لكن الجريمة لا تفيد ولا تموت أيضا مهما مر عليها الزمن!

بحر الرياض على اسم قرية صفاء الصغيرة كان هو المقر لجثتها، حملها القتلة ثم ألقوا بها في عتمة الليل ليعودوا أدراجهم من حيث أتوا وكأن شيئا لم يكن.

لكن الأيام كانت تحمل لهم الكثير من المفآجات حينما اكتشف الأهالي جثة المجني عليها وأبلغوا رجال المباحث.

هكذا خيب القدر ظنون القتلة!! فقد انحسرت المياه عن المصرف فظهر شيء غريب أشاع الخوف في نفوس الناس فأبلغوا اللواء محمد إدريس مدير أمن كفر الشيخ وطلب هو بدوره من العميد ناصر أحمد مدير مباحث المديرية تكثيف الجهود لكشف غموض الجثة.

تابع في البداية فريق البحث بلاغات الغياب على مستوى مديريات الأمن وتلقى رجال الشرطة إخطارا بغياب فتاة من مركز قيلوب القليوبية في ظروف غامضة وأكدت التحريات أنها فتاة في الرابعة عشرة طالبة في الاعدادية.

المثير أنه لم يتعرف أهلها على جثتها والأكثر إثارة أن تحليل D.N.A أكد أنها جثة صفاء حينها اعترفت "سهير" والدتها بكل شيء مؤكدة بذلك أنها لم تعد تخشى شيئًا بعد أن فقدت أغلى مافي حياتها "ابنتها الوحيدة"

اعترف عرابي بجريمته بكل فخر بحجة أنه قد غسل عارا وصمت به عائلته.

فجاء صوت وكيل النيابة مستنكرا:- أي عار تتحدث عنه؟ صفاء عذراء يا غبي، وأن سبب انتفاخ بطنها على حسب تقرير الطب الشرعي لم يكن سوى تراكم دم داخل الرحم نتيجة لتأخر ظهور الدورة الشهرية مما سبب انتفاخ بطنها لأن غشاء بكارتها كان مسدودا تماما[1]

فتح عرابي فاهًا محاولا فهم ما سمعه ولكن بلا جدوى فقد كان جاهلا..

وبذلك ظلمت صفاء نتيجة الجهل وعدم التفهم منتهيا بها المطاف من فتاة حالمة بريئة إلى مجرد "بقايا جثة عذراء" ملقاة في إحدى المصارف الصحية.

(1) (Imperforated Hymen) وهذا النوع يسبب مشكلة عند سن البلوغ حيث لا توجد فتحة لخروج دم الحيض منه فيتراكم الدم داخل المهبل مع كل دورة شهرية ثم في داخل تجويف الرحم ويسبب انتفاخه. وأحيانا تنتفخ البطن وتحدث ألام شديدة وفي هذه الحالة تتطلب العرض على طبيب أمراض نساء لإحداث فتحة صناعية صغيرة لخروج الدماء في المراحل المبكرة من هذه الحالة وفي الحالات المتأخرة قديتطلب الأمر علاجات أكثر تعقيدا كتاب (غشاء البكارة بين الجنس والاغتصاب والطهارة) دكتور هاني اسماعيل
1

تحري قبل الدخلة

(الحب بالعقل: إفساد للحب والعقل معا!!)

أنيس منصور.

الثلاثاء 12/ 2

وقفت ياسمين تتأمل جسدها أمام المرآة في فستان الزفاف، وقد بدت فيه كمانيكان متحرك بجسدها المتناسق الرشيق، ياسمين فتاة تتمتع بالجمال والجاذبية، متدفقة الأنوثة كشلالات مياه طبيعية،كانت محط إعجاب الشباب فتقدم لخطبتها الكثيرون، ولكنها خيبت أملهم برفضها البديهي مما سبب لها الكثير من الخلافات مع والدها الذي احتار في أمرها.

لكن والدتها وفاء كانت الصدر الدافئ الذي احتضنها مهدئا من روعها ومخففا من ألمها وحيرتها فقد تفهمت وضع ابنتها بحب وحنان، في الحقيقة لم يكن ذلك موقف والدتها منذ البداية ولكنها تبدلت جذريا بعدما صارحتها ياسمين بالحقيقة فجاء اسم "حسام" حادا مخترقا طبلة أذنها مصرحة باسمه كل المشاعر الصادقة التي جمعتهما طوال سنوات الدراسة بكلية الحقوق.

اقتربت الأم من ابنتها ببطء واقفة إلى جوارها قائلة بصوت غريب:

- حسام ده بقى السبب في رفضك لكل العرسان.

هزت ياسمين كتفها بيأس ودموعها لا تزال تنهال بغزارة على وجهها ليصبح كلوحة زيتية ممزقة

قالت الأم بحزم:- أنا هوافق عليه وهقنع والدك بس بشرط يطلع حسام راجل بجد.

توقفت دموع ياسمين فجأة وهي تنظر إلى والدتها فاغرة فاها من شدة الذهول الممزوج بقليل من الفرح.

تقدم حسام وأهله لخطبتها، وكانت ليلة ثقيلة على ياسمين لم تستطع النوم فيها ولا حتى في الليالي التي تلتها، بقيت ساهرة محتارة منتظرة قرار والدها الذي سيحدد مصير مستقبلها.

وفي إحدى الأيام التي طوق فيها اليأس عنقها وأيقنت أن القدر سيفرق بينها وبين حبيبها، ارتفعت صوت زغاريد والدتها وهي تهم بالدخول إلى غرفتها لتزف إليها خبر موافقة والدها على حسام.

عادت المرئيات حولها لتختلط بانعكاس صورتها في المرآة سارحة في ذكرياتها أثناء قيام الخياطة بوضع اللمسات والتعديلات الأخيرة في فستان الفرح الذي حدد موعده يوم الخميس الموافق2/14

كانت دقات قلبها تتزايد بشدة كلما تذكرت أن موعد زواجها قد حان وأنه لم يبق سوى يوم وبضع سويعات تفصلها عن دخول القفص الذهبي.

أحبت ياسمين حسام كما أحبها هو بدوره، فقد ملك قلبها وروحها، وبادلها حبا بحب وجنونا بجنون إلى أن ربط العشق بين قلبيهما ووحد بين روحيهما.

اقتربت منها والدتها وهي تحاول مدارة دموع فرحتها

- ألف مبروك والله كبرتي وبقيتي عروسة ربنا يتمملك على خير.

خلعت ياسمين فستان الزفاف بحرص شديد مذكرة الخياطة قبل انصرافها بآخر التعديلات، أعدت لوالدتها كوبا من اليانسون ليخفف من إرهاقها، بينما اكتفت هي بقطع من الكيك.

قدمت كوب اليانسون لوالدتها وهي تقول لها:

- ماما سامحيني تعبتك معايا كثير اشربي اليانسون وادخلي غرفتك ارتاحي شوية.

ثم طلبت منها السماح لها بالذهاب إلى مول سان ستيفانو لشراء هدية لحسام.

وافقتها والدتها بعد إلحاحها بشرط عدم تأخرها.

بعد ثلاث ساعات.....

رن جرس الهاتف عدة مرات فأجابت وفاء أخيرا بصوت يثقله النعاس بعد أن غلبها الإرهاق فخلدت إلى النوم:

- آلو السلام عليكم مين حضرتك؟

جائها صوت غليظ:- صالح سعيد من قسم شرطة..

فتصببت عرقا وبح صوتها ولكنه سرعان ما طمئنها على ابنتها شارحا لها سبب تواجدها لديهم وهو عدم حملها أي إثبات لشخصيتها أثناء إحدى التفتيشات الروتينية.

انطلق والديها إلى قسم الشرطة وقدموا بطاقتها، فخرجت ياسمين من غرفة الحجز ترتجف، باردة الأطراف، تولى والدتها الفزع والجزع فأسرعت نحوها تطمئنها.

زلزلت الصدمة ياسمين فأطاحت بكيانها لتحطمها في ثانية واحدة، وبعد أن كانت عروسة جميلة أصبحت شبح امرأة لا يأكل ولا يتكلم ولا ينام.

لم يجد والداها وخطيبها تفسيرا مقنعا لحالتها فمن المؤكد أن ما حدث لا يستدعي كل هذا!!!!

اقتربت منها أمها تضمها الى صدرها لتهدئ من روعها:

- ياسمين حبيبة ماما أنا عارفة إنك خفتي عشان أول مرة تدخلي فيها قسم شرطة وأول مرة تشوفي مساجين وضباط بس خلاص إنت خرجتي بالسلامة إهدي بقى عشان فرحك بكرة.

- أنا مش هتجوز يا ماما ومافيش فرح بكرة.

انتفضت وفاء فجأة ووقفت وهي تنظر لابنتها نظرة استفهام استنكاري

- من المؤكد أنك جننتي.

ارتجفت ياسمين بشدة بعد أن زاغت عينيها، وأخذت تهذي بكلمات غير مفهومة حتى سقطت مغشيا عليها.

ساعدها حسام لإسترداد وعيها فدست وجهها في المخدة قائلة:

- ارجوك يا أمي أنا بحاجة للتحدث إلى حسام على انفراد.
- انصرفت والدتها فتنهدت ياسمين ثم اغمضت عينيها وهي تقول:
- لقد تدمرت حياتي ياحسام لقد اذوني أشد أذية.
- استوقفها قائلا:
- أرجوك اشرحي لي ماحدث معك بالضبط فلم أعد أستطيع الإنتظار.

وقفت أمامه صفراء شاحبة محاولة باستماتة التشبث بما بقى لديهامن قوة وصلابة.

نظرت إليه ودموعها تنهمر بغزارة :- حسام احنا مش هننفع نتجوز.

رد باستنكار:- بكل بساطة تغيري رأيك والفرح بكرة!!!!

انهارت فجأة ثم بكت بصمت وهي تقول :- أحبك ياحسام ولن أحب سواك أبدا لكن لم يعد يفيد ذلك بشيء.

أخذ حسام يديها بين راحتي يديه وضمها بقوة هامسا في أذنها:

- ياسمين هل مازلت تريدين الزواج بي؟
- أكيد لكن اعذرني يا حسام لم يعد بإمكاني ذلك.

طبع على جبينها قبلة دافئة وهو يقول:

- ما حدث لن يغير شيء فأنا أحبك وأحترمك وسأظل أحبك، أرجوك انس ما حدث ولا تجعلينه يفسد علينا فرحتنا فلم يبق سوى ساعات قليلة على زفافنا.

أجابت ياسمين في صمت ولسان حالها يقول (لن أكون لغيرك في يوم من الأيام)

تزوجا ورزقا بطفلة جميلة ، وفي إحدى الأيام انطلقت ياسمين فزعة مقتحمة على حسام مكتبه مثيرة بذلك استغرابه، ولكنها سرعان ما أخرجت بطاقته الشخصية من حقيبتها ردا على استغرابه.

- إوعى تنسى تاني تاخذ بطاقتك يا جوزي الغالي عشان ما تتاخذش "تحري"!!!!:

نسيت ياسمين ما حدث معها أثناء احتجازها في قسم الشرطة حيث قمن السجينات بالتحرش بها، بعد أن استطاع حسام أن يخرجها من حزنها مضيئا حياتها بحبه وحنانه وإحترامه لها، دافنا سرها ذلك للأبد مع قدوم ابنتهما أسرار.

(رقم واحد)

*الرجل الذي لا يغفر للمرأة هفواتها، لا يتمتع بفضائلها!!!!

جاء صوته دافئا وهو يقول: (أحبك سيدتي)، صمت قليلا ثم أعقب إعترافه ذلك بسؤال لم أستطع الإجابة عليه.. (ما هذا الشعور الذي يعتريني في كل يوم، كل ساعة، كل لحظة؟ ما ذلك السر الدفين الذي جعلني أهواك وأدمنك أنت من دون البنات؟)

تحت السماء الزرقاء والسحب البيضاء مشينا حبيبن عاشقين.. وما بين شجرة وأخرى كتبنا أسمائنا... أصوات الطيور كانت تغرد بيننا ولنا وأنا أقول له (لو تعلم كم أحبك يا سيدي)

في حديقة الأزهر كنت أجلس على العشب تحت ظلال أشجارها الكثيفة التي حمتني من حرارة الشمس أتأمل خاتم خطوبتي الذي ازداد بريقه بفضل تلك الأشعة الذهبية التي انعكست عليه.

بينما كان يقف خطيبي على بعد عدة أمتار مني يشتري آيس كريم ليخفف علينا من حرارة الصيف.

جاء متثاقلا يجر خطاه وارتمى على نفس العشب الذي جلست عليه وهمس

- اشتقت لك!!

راقت لي رومانسيته فتمتمت له أيضا وأنا ألعق الآيس كريم:- أنا أكثر حبيبي

أمسك هاتفه النقال يقرأ الرسالة التي وصلته بينما كان مشغولا مع البائع...

- أه هذه رسالة من صديقي أيمن يخبرني بأنه سيذهب الليلة إلى المقطم مع حبيبته!

صمت قليلا ثم ابستم قائلا:- ابن المحظوظة

اقترب مني ممسكا بيدي:- (البنات نوعان.. نوع يصلح لأن يكون زوجات المستقبل... ونوع يصلح فقط لسهرة في المقطم!!) ..... وأنت حبيبتي من النوع الأول لذلك ارتبطت بك واخترتك لتكوني شريكة حياتي

ثم همس لي بخبث:- هل ذهبت إلى المقطم من قبل؟؟

- بالطبع ذهبت مع عائلتي

ابتسم:- لا أقصد هل ذهبت إلى المقطم بمفردك؟؟؟ فأنا أحب أن أكون رقم واحد في كل شيء في حياة زوجتي..

فوجئت بسؤاله ذلك، فامتقع لوني وأصبحت مثل قالب من الجليد. سؤاله ذلك سافر بي بعيدا لثلاث سنوات مضت بسرعة الريح.

لم أنس أبدا ذلك اليوم الغريب في حياتي فكل شيء فيه كان جنونيا وبلا منطق ...كانت الساعة حوالي الثامنة مساء عندما كنت

أقف أمام أحد مكاتب السياحة بميدان التحرير محاولة إيجاد حجز لأي رحلة متجهة إلى الكويت .. ولكن بلا جدوى فجميع الأماكن محجوزة في موسم الصيف!

وقفت حائرة أمام مطعم كنتاكي ممسكة بيد جواز السفر وباليد الأخرى هاتفي النقال الذي أجريت به مكالمة لأمي في الكويت أخبرها أنه لا يوجد حجز قبل أسبوعين من الآن..

أسندت ظهري إلى سور أخضر كان يفصل تلك المطاعم ومكاتب السياحية عن الشارع!!

كنت شاردة الذهن أفكر في مصيبتي التي حلت بي ..فلا بد أن أكون هذا الأسبوع في الكويت لحضور زفاف أخي!!

لم أنتبه لكلماتهما .. همساتهما .. وأخيرا انتبهت بأن هناك شابان يقفان خلف السور الذي كان يفصلني عنهما .. طريقتهما في التعارف بدت لي مختلفة جدا.. فكانت تلقائية وبسيطة لم تجرحني أو حتى تضايقني.. لكن بالرغم من ذلك لم أعرهما اهتماما واتجهت لمترو الأنفاق بعدما فقدت الأمل في إيجاد حجز!! حتى لو انتظار!!

ابتسم لي أحدهما ابتسامة رقيقة محاولة منه لإيقافي فرمقته بنظرة حادة لكنه ظل مبتسما قائلا بكل عفوية:- جميع مشاكلنا لها حلول .. إبتسمي واطمئني فنحن بجانبك!!

بادلته الإبتسامة دون أن أستوعب ماحدث بالفعل!!

محمود شاب في الرابعة والعشرين .. موظف في إحدى شركات السياحة!!

فهد يكبر محمود بسنتين لاعب كرة سلة محترف .. طويل القامة حتى أن طوله ذلك جعلني أستغرب فصرح لي أنه 195سم .. ولد في المملكة العربية السعودية أثناء أداء والدته لمناسك الحج فاختارت له اسم فهد على اسم ملك السعودية حينها (جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله) الذي قدم لهم مكافأة مثل أي مولود يسمى على اسمه في ظروف مماثلة.

جسلت طويلا معهما على إحدى المقاهي الشعبية في وسط البلد ..كل شيء كان مختلفا حتى (كوباية الشاي بالنعناع) كان لها مذاق جديد رائع ملئ بالجرأة والمجازفة.

دوائر دخان معسل التفاح أحاطت بنا من جميع الجوانب فقد كان محمود عاشق للشيشة بينما فهد لم يفكر حتى بإشعال سيجارة لأنه رجل رياضي!!

لا أنكر أن طريقة محمود في تدخين الشيشة أثارتني فتمنيت لو انقضضت عليه وسحبت منه ذلك اللي لأصنع مثله تلك الدوائر العجيبة ولكن هل كنت سأستطيع من أول مرة أن أكون بذلك الاحتراف!!

وسط أحلامي وأمنياتي سألني محمود إذا ماكنت أريد أن اقوم بتجربة الشيشة أولا؟؟ يا إلهي كيف تمكن ذلك الشخص من الغوص

في أعماقي .. ومعرفة رغباتي.. لكني رفضت بكل ثقة .. فمهما كان، التهور والمجازفة لهماحدود!!

اندماج فهد في الحديث عن حبيبته جعلني أحلم برؤيتها.. "زيزي" ذلك الإسم الذي أطلقه عليها .. وعشقها لدرجة الجنون على حد قوله!

اختلف فهد ومحمود فيمن يدفع الحساب فانسحبت بهدوء حتى لا أسبب لهما أي إحراج.. ووقفت من بعيد أختلس النظر إليهما .. ليكون فهد هو العازم وأنا ومحمود مجرد معازيم..

كانت تفصلنا عدة خطوات فقط عن زيزي .. تجولت ببصري أبحث عنها في وجوه البنات فلم أجد واحدة بمواصفاتها .. وفجأة توقف فهد ومحمود عن السير عند سيارة قديمة برتقالية اللون ... فابتسم فهد وهو يعرفني على حبيبته بفخر..

وإذا بتلك الحبيبة مجرد سيارة وليست إنسانة!! سيارة 128 موديل 1965 قديمة جدا، صغيرة جدا، بصراحة حالتها يرثى لها وبالرغم من كل ذلك فهي عزيزة نفس مازالت ترفض فكرة الطلوع على المعاش..

لم أشعر بنفسي إلا وأنا جالسة بجوار فهد وهو يدور بنا في شوارع القاهرة تلك المدينة التي عشقتها بالرغم من أنني لم أترعرع فيها!

جاء صوت محمود غليظا من خلفي وهو يقترح الذهاب إلى المقطم، فتغيرت ملامح فهد فجأة وأوقف سيارته على أحد الشوارع

.. نظر إلى محمود نظرة لوم وعتاب على اقتراحه ذلك .. ربما قد لمس فيَّ تلك الفتاة المحترمة المحافظة على شرفها بالرغم من جرأتها بالحياة!!

تراجع محمود عن فكرته محاولا الإعتذار متداركا الموقف بإسلوب ذكي .. لكني فاجئتهما عندما طلبت حينها الذهاب إلى المقطم في ذلك الوقت المتأخر!!

نظر الاثنان إلى بعضهما قبل أن يعدني كل واحد أنه لن يمسني بسوء وأنني لن أندم أبدا على معرفتي بهما...

***

رجعت بظهري للخلف استعدادا للرحلة ... كانت قيادة فهد عقلانية جدا حيث لم تتعد سرعته 80 كيلومتر..

الطريق طويل جدا لكن حديث محمود الشيق اختصر علينا طول الطريق .. محمود ذلك الشاب المصري ذو البشرة السمراء والإستايل النوبي .. كان غريب المزاج والاهتمامات.. فهو قد انضم مؤخرا إلى فرقة غنائية نوبية للغناء معهم في حفلات "حنة العروس".

قلعة صلاح الدين الأيوبي كانت على يدي اليمنى .. أضواؤها الذهبية تلك سحرتني فلم أركز كثيرًا مع محمود.

كنت متلهفة لرؤية ذلك الجبل الذي شهد كثيرا من قصص العشق والغرام والجنس أيضا!!

بعد حوالي ساعة من السير بين الشوارع الخالية من الإزدحام.. والخالية أيضا من الحياة وصلنا إلى جبل المقطم.. الذي اصطفت عليه السيارات بمختلف الموديلات والألوان كطابور العيش..

الإضاءة الخافتة .. والسماء المظلمة الخالية من ضوء القمر كان لهما دور كبير على إضفاء الرومانسية في ذلك المكان الذي يعتبر من الجبال التي لعبت دورًا مهمًا في أعمال التشييد خلال العصرين القبطي والإسلامي.

ترددت كثيرا في البداية من النزول من السيارة والإنخراط في ذلك العالم الليلي .. لكن ازدحام المكان بالفتيات شجعني.. فجلسنا ثلاثتنا على الكراسي المصطفة على حافة الهضبة متأملين ذلك المنظر الخيالي.

ذكريات طفولة كل منا كانت محور حديثنا في تلك الليلة، ولا شعوريا تركنا تلك الكراسي الخضراء وانضممنا كغيرنا حول العروسين الذين أحاط بهما الجميع على شكل دائرة .. وأخذوا يغنون ويصفقون لهما بحرارة .. لقد كان مشهدًا في غاية الجمال والبساطة .. بكل صراحة لم أنس ذلك أبدا!! كم سأفتقد تلك التلقائية والبساطة حين عودتي للكويت!! لكن الأكيد أن صورتي مع العروسين ستخلد ذكرى تلك الليلة إلى الأبد!

***

لم أتوقع أبدا أن أشعر بالبرودة في شهر يوليو .. لكنني شعرت بها على أرض المقطم.. وتذكرت حينها ماتعلمته في مادة الجغرافيا عن أحوال

المناخ التي تتغير بالارتفاع والإنخفاض!! فانسحبت من بين الحضور واختبأت داخل "زيزي" .. فربما أجد الدفء في تلك المسكينة الصبورة!

بالفعل بدأت أشعر بالدفء تدريجيا عندما أغلقت جميع النوافذ والأبواب .. ولم تمر دقائق حتى انضم إليَّ الثنائي المرح!!

دخان السجائر المنبعثة من محمود وفهد ملأت السيارة فجلست على مقدمة السيارة أستنشق الهواء النظيف.. الغريب في الأمر أن فهد لم يتردد ليلتها بشرب أول سيجارة في حياته كنوع من الفانتازيا!!

ليلة جنونية بمعنى الكلمة لأنني فقدت عقلي وقتها ولم أستيقظ من سكرتي تلك إلا بعد عودتي إلى البيت في حوالي الساعة الثانية صباحا في الوقت الذي كانت جدتي فيه تغط في نوم عميق.

***

اقترب مني خطيبي أكثر مكررا نفس سؤاله:- لم تخبريني حبيبتي هل ذهبت الى المقطم مع شخص؟؟

أعادني الى أرض الواقع بعدما كنت قد سافرت بسؤاله ذلك بعيدا .. نظرت إليه بعينين جريئتين:- لا لم أذهب حبيبي فأنا لدي فوبيا المرتفعات!!

تنفس الصعداء:- آآآه حمدا لله فأنا سأكون أول شخص في حياتك يذهب معك إلى المقطم..

نعم لقد كذبت عليه ولم أتردد أبدا في ذلك لأنني لو أخبرته بالحقيقة لم يكن ليصدقني أبدا.. ولن يغفر لي جريمة لم أقترفها في الأصل!

بدهاء أنثوي سألته:- وماذا عنك .. هل ذهبت؟؟

ارتفعت أصوات ضحكاته وهو يجاوب بكل فخر:- كثير.

- ومن أعطاك الحق؟ فأنا أيضا أحب أن أكون رقم واحد في حياتك.

استمر بضحكه المستفز ذلك:- أنا لست محتاج لتصريح من شخص .. أرجوك لا تنسي أنه لا يوجد وجه مقارنة أبدا بيني وبينك لأنني ببساطة رجل!!

***

يا لغبائي فقد نسيت لثواني أنه رجل وأنني أنثى .. أنه رجل يفعل ما يحلو له ويذهب إلى المقطم مع من يشاء ووقتما يريد.. وبعد كل ذلك يسامحه المجتمع ويغفر له .. لقد نسيت أنه رجل يختار الأنثى التي تعجبه ويذهب بها إلى ذلك الجبل المرتفع .. ليغازلها.. يتحسس جسدها.. ربما ليضاجعها أيضا ليس مباليا!!

لقد نسيت أيضا أنه في مجتمعاتنا الشرقية عادة ما يتكلم الرجال بكل ثقة وربما بفخر أيضا عن ماضيهم العاطفي ومغامراتهم المحرمة مع النساء.. ويعتبرون أيضا الخوض في هذه المغامرات حق مشروع لهم لا يعاقب عليه المجتمع .. بينما نفس أولئك الرجال الذين يحللون لأنفسهم ماحرمه الله، يحرمون على النساء ما أحلوه لأنفسهم وذلك انطلاقا من مقولة (ما يسمح للرجل لا يسمح للمرأة).. أو (أن عيب الرجل على حذائه بينما عيب المرأة وخطأها لا يغتفر أبدا لأن سمعتها وشرفها كلوح زجاج ما إن مسه شخص أو كسره لن يصلح أبدا!!)...

أما أنا المتحدثة هنا مجرد أنثى سينبذها المجتمع إذا عرف بحقيقة فعلتها تلك ... سينبذها دون أن يعطيها فرصة أخرى للحياة .. فقد أصدر الحكم بدون نقاش..

ولكن هل من الممكن أن يأتي ذلك اليوم الذي سترفع فيه الإناث شعار...

(الرجال نوعان : النوع الأول يصلح لأن يكون أزواج المستقبل، والنوع الثاني يصلح فقط لسهرة في المقطم!!) هل ... هل ... مجرد سؤال .. لا ينتظر إجابة!

زوجة في الظلام

"أن تضئ شمعة صغيرة خير لك من أن تنفق عمرك تلعن الظلام"
حكمة صينية من الحياة.....

ملأت البانيو بالماء الفاتر والورد الأحمر البلدي كنوع من التدليل الذاتي الذي أحبت أن تكافئ به نفسها، كانت شاردة في حالة توهان داخلي، تشعر بالحر بالرغم من أنها لا ترتدي سوى قطعة واحدة بعد أن القت بروبها الوردي على بلاط الحمام.

حلا: مهندسة معمارية مع إيقاف التنفيذ

النقش الذي يزين يديها ورجليها.. حنة زواجها الذي لم يمر عليه سوى بضعة أيام ولأسباب خاصة ليس لأحد ذنب فيها ولا حلا نفسها اضطرتهما لقطع شهر العسل المخطط له والعودة إلى عش الزوجية.

***

تحركت بملل وكسل أنثوي إلى البانيو، تكة مفتاحه في باب الشقة قطعت عليها خلوتها بنفسها... فركضت فزعة كالمجنونة نحو مفتاح الإضاءة محولة بذلك الحمام إلى كهف مظلم.

أشعلت شمعة صغيرة كانت قد احتفظت بها في الحمام لمثل هذا الموقف!!!

الإضاة كانت خابية جبرتها على الاستسلام، فأسندت ظهرها إلى البانيو لتكمل دلالها الذاتي.. أخذت نفسا عميقا بعد أن أغمضت عينيها مواصلة بذلك تفكيرها.. فكانت تؤمن بأن المرأة لغز مفتاحه كلمة واحدة هي الحب!!

سمعت بوضوح وقع أقدام متسللة على السيراميك لكنها لم تبال بذلك بل أكملت توهانها الداخلي وهي تشم رائحة الورد البلدي الذي غطى جسدها المتناسق متخيلة بذلك أنها كليوباترا!!!

كانت الخطوات قلقة تروح وتجئ في حركة لا تتوقف، وفجأة أخذت الخطوات المتوترة تقترب أكثر فأكثر حتى شعرت بأن شيئا ما قد التصق بباب الحمام ، كانت حلا متأكدة من أن ذلك سيحدث لذلك لم تستغرب كثيرا، لكن تأكدها لم يمنع القليل من التوتر الذي انتابها..

صوب نظراته من فتحة الباب محاولا بذلك رؤيتها وهي تستحم!!!

إياد: طبيب أسنان ناجح جدا. فاشل جدا من وجهة نظره لأنه فشل في إقناع زوجته بالتخلي عن خجلها المقيت، لذلك هو عصبي جدا في هذه الأيام التي من المفترض أن تكون شهر العسل الذي حلم به كثيرا.

****

ملئ إياد فنجان صيني بالماء المغلي، أحضر قوالب السكر وأكياس الشاي في نفس الطبق!! فإياد من طبعه محب للعجلة الممزوجة بالفوضى.

إرتدى بيجامة حريرية بعد أن ترك الغرفة في حالة رهيبة من الفوضى، استرخى على السرير يرشف الشاي ودخان سيجارة "Merit" يرتفع في دوائر تحيطه.

أدرك قدومها برنة خلخالها التي تثير إحساسه قبل عصبيته.. إنحنت للأرض لتقوم بتدارك تلك الفوضى التي تسبب بها بدون إبداء أي انزعاج متحاشية بذلك تعكير مزاجهما!

إقتربت منه محاولة تقبيله فأمطرت قطرات الماء العالقة بشعرها عليه... حينها إستنشق بقوة رائحة الرمان المنبعثة من الشامبو الخاص بها فغمرت صدره لكنه أبدى العكس تماما وابتعد قليلا ليشعل سيجارة أخرى!!

تداركت حلا إحراجها بابتسامة مفتعلة قائلة:- أهلا بعودتك حبيبي .. لم أتوقع عودتك مبكرا لكن ذلك أفضل.

أخذ يدخن بشراهة حتى كون من أعقاب السجائر تل صغير توسط منفضة أوربية الطراز كانت هدية حلا له في عيد ميلاده..

جلست على كرسي التسريحة تجفف شعرها بسشوارها البنفسجي..

كره إياد بعد زواجهما صمتها الطويل وطباعها الهادئة مع أنه كان يثني على طباعها تلك أيام الخطوبة!!!

ظل إياد في مكانه لا يتحرك منه أي جزء سوى رأسه الذي أخذ يهزه بطريقة عامودية وهو يتنهد بعمق مع إطلاقه دخان السيجارة لينفجر قائلا:- انت ليه جايه على نفسك كدة يا حلا ما بالمرة غطي

شعرك ورجليك إيه الكرم ده كله يا شيخة، بالمناسبة نسيت اقولك حاجة انا خلاص قرفت منك وقررت اطلقك.

أطبقت شفتيها في أخر لحظة قبل أن تتفوه بكلمة لتصيبها حالة من التخشب سيطرت على جسمها كله.

لم تكن تتوقع أبدا أن يتمادى في قسوته إلى هذه الدرجة فيكفيها ما سقاها من كوكتيل العتب واللوم في الأيام الماضية..

إمتزجت حالة التخشب بالوحدة التي حلت عليها بعد خروجه من الشقة ليتركها وحيدة تكلم نفسها...

لم تكن حلا مدخنة محترفة لتقوم بنفخ دخان السيجارة بتلك الشراهة بل كانت تلك أول مرة تقوم فيها بالتدخين كمحاولة منها لتهدئة أعصابها لكنها كانت محاولة فاشلة!.. عندها بكت بحرقة بكاءً هيستيريا حتى سمعتها جارتها "ليلى" فحضرت مسرعة واحتضنتها بكل حنية:- حبيبتي حلا ما هذه الحالة التي أصبحت فيها من يراك لا يصدق أنك عروس لم يمر على زفافها أسبوع.

مسحت حلا دموعها وصوت البكاء يخيم على صوتها:- عروس!! أنا لم أذق طعم الفرح من يوم زواجي.

بدأ القلق يتسلل إلى قلب ليلى:- أرجوك أخبريني.. فمن يوم وصولكما وأنا في حالة استفهام عن سبب خلافاتكما التي قد وصلت أصداؤها إلى شقتي.

تنهدت حلا بحرارة ثم وقفت بدون سبب منطقي تجول ببصرها في أنحاء الغرفة.. وفجأة سمرت بصرها على طاولة مجاورة للسرير فأمسكت بفنجان الشاي الذي لم يكمله إياد وقذفته بحرقة فارتطم بالجدار متحولا بذلك إلى قطع متفاوتة الأحجام كما تحطمت سعادتها وأحلامها.

أخذت تصرخ بجنون:- إياد يريد تطليقي بسبب خجلي المقيت.. صدقيني حاولت كثيرا لكنني لم أستطع فالموضوع أكبر من مجرد خجل عروس.

نظرت حولها فوجدت نفسها محاطة بجزيرة من دمها وقطع الزجاج المكسور، لكنها لم تبال بجرح قدمها فجرح قلبها كان أكبر بكثير..

أمسكتها ليلى من ذراعيها وهزتها بقوة كي تتوقف عن الصراخ لكنها أبعدتها وتقدمت بخطوات بطيئة غير متزنة.. حينها شعرت بدوار شديد وظلام يغمر الأشياء من حولها حتى سقطت مغشيا عليها فاقدة الوعي فقد كانت منهارة جدا.

ارتبكت ليلى جدا لكنها تداركت الموقف بسرعة فهناك بعض المواقف لا يجدي الإرتباك فيها نفعا...

حضر إياد مسرعا بعدما أخبرته ليلى بما حدث، انصرفت تلك الجارة الطيبة لتتركه مع زوجته النائمة بمفعول حبوب الفاليوم، التزم الصمت حينها حتى أنه لم يشكرها وكأن ما حدث ألجم لسانه!!

وقف بعيدا ينظر إليها نائمة على السرير كجثة هامدة

محدثا نفسه:- ترى ماذا أصابها، لقد ذبلت بالفعل، أيعقل أن أكون أنا السبب؟؟!!

***

مرت الليلة ثقيلة عليه وهو بجوارها يحاول النوم ولكن بلا فائدة تذكر، ربما بسبب توهانه الداخلي الذي أصابه وجعله حائرا في تحديد الشخص المذنب بالفعل؟؟ حاول تهدئة أعصابه بكوب من الحليب البارد المحلى بالعسل، وأثناء عودته للغرفه رأى زوجته من خلال الباب الموارب كانت في وضع لم يرها فيه من قبل... نائمة على جانبها الأيسر وهي تسند رأسها بيدها اليسرى، تسمر في مكانه يتفحص ساقيها وفخذيها الممتلئين لم يكن يتخيل أبدا أن جسمها بذلك التناسق في قميص النوم فتلك أول مرة يراها به!! فقد كانت من عشاق البيجامات ..

الإضاءة كانت حمراء مثل لهيب النار الذي اشتعل في جسمه كله عندما رأها بقميص النوم الكريمي، ضغط على شفتيه السفلية من شدة القهر لكنه سرعان ما استرخى بجوارها على الفراش متصرفا بطبيعته بعدما أزاح عن تفكيره تلك الخيالات السخفية إيمانا منه بأن المعاشرة الزوجية احتياج طرفين وليس مجرد طرف واحد.

طبع قبلة دافئة على جبينها بعدما قام بتغطيتها باللحاف الوردي الناعم ، لم يفكر سوى في رغبتها الطفولية التي لم تتخلص منها، ضمها إلى صدره بقوة ممسكا بيدها اليسرى.

نام على هذا الوضع بعد عدة ساعات من تأملها وكأنه يراها لأول مرة بوجهها الطفولي، أنفها المستقيم، وشعرها الغجري.

حدث نفسه متسائلا:- أيعقل أن أكون قسوت عليها؟ أيعقل أن أكون أنا المذنب في حقها؟ أيعقل أنني لم أتفهم وجهة نظرها!!

أسئلة كثيرة جالت في خاطره حتى زاره سلطان النوم!!

***

استيقظ إياد في الصباح الباكر قبل زوجته، طبع قبلة على خدها ثم وضع القهوة على النار في الوقت ذاته الذي كان يغسل فيه أسنانه!!!

فتح النافذة لتدخل أشعة الشمس وتضئ الغرفة بضوء الحب والحنان بعدما حل عليها ظلام القسوة والعناد... انعكست تلك الأشعة الذهبية البراقة على وجه حلا بألوان الطيف، كانت تتمطى بشجن طفولي برئ ... عندما تلاقت أعينهما لزما الصمت ليقررا داخلهما أن تكون تلك وسيلة الإتصال الجديدة بينهما.

مرت ثلاثة توائم متماثلة من الأيام، كل شيء كما هو العلاقة شبه منقطعة بينهما... حديث صامت بالنظرات ، كل صباح ينهض هو باكرا ليعد الفطور بينما تتولى الجارة الطيبة مهمة إعداد الغداء.. فقد تعهدا الاثنتن (إياد وليلى) الإهتمام بحلا أثناء فترة مرضها.

قطفت ليلى وردة حمراء من بوكيه الورد الذي كانت قد أحضرته لزوجها البارحة وهي ذاهبة لزيارة حلا...

– يالها من وردة جميلة .. يا لك من زوجة محظوظة يا ليلى فزوجك في غاية الرومانسية. قالتها حلا ممازحة.

– تقصدين زوجي هو المحظوظ برومانسيتي فأنا من اشتريت له باقة الورد وأعطيتك وردة منها. ردت ليلى ضاحكة

وضعت العروس الحائرة الوردة في كوب ماء مع قرص أسبرين حتى لا تذبل، وأخذت تداعب أوراقها في شرود وتنهدت قائلة:– أنا من عشاق الرومانسية يا ليلى ولكنني خجولة في الوقت ذاته.. وكل ما أتمناه أن يصبح إياد رومانسي معي ويتفهم احتياجاتي ويتخلى عن عصبيته التي أوصلتنا لطريق مسدود.

– أي طريق مسدود يا حلا..كل الذي بينكما سحابة صيف وستختفي مع الأيام.

علقت حلا بيأس:– سحابة صيف!!

ثم سحبت نفسا عميقا وأطلقت زفيرا عنيفا من فمها.

فقرصتها ليلى من خدها:– سعادتك تحتاج إلى قليل من الصبر والتضحية .. لذلك يجب عليك يا حلا أن لا تلقي كل اللوم على زوجك في كل شيء ويجب عليك المبادرة بالرومانسية واتباع المثل القديم.. (جوزك على ما تعوديه).

ارتفعت أصوات ضحكاتهم ومزاحهم مع احتراق الطبخة!!!!

"صحيح حريم ناقصات عقل و....."

***

"الرجل يتمنى السعادة ولكن المرأة تصنعها"

كانت تلك نصيحة ليلى لجارتها حلا ليقررا معا صناعة تلك السعادة التي طالما حلمت بها العروس الخجولة "حلا"

تكفلت ليلى بإحضار جميع المستلزمات من السوق لخلق ليلة رومانسية، بينما كانت حلا تقوم بتجهيز نفسها لليلة عرس جديدة ولكن في النور لذلك اهتمت بكل تفاصيل جسمها التي من أولها إزلة الشعر الصغير الذي بدأ بالنمو بعد مرور خمسة عشر يوما على زفافها!..

أخرجت حلا "حلة الحلاوة" التي صنعتها ليلى لها بنفسها بمزيج من السكر والماء والقليل من الليمون، وجلست على حافة السرير بعد أن وضعت غطاء أخر حتى لا تتسبب تلك "الحلاوة" بتلطيخ الفراش.

أخرجت قطعة منها بعد أن قامت بعمل حمام مائي للقدر، مطتها حتى تلين ثم بصقت فيها على طريقة الحفافات عندما أصبحت ذهبية اللون كقطعة كراميل لذيذة طرية جاهزة للإستعمال!!

بسطتها على ساقها ثم أغمضت عينيها لتقوم بنتف ذلك الشعر بسرعة عكس اتجاهه في الوقت الذي كان يراقبها إياد من خلف الباب. ...." صحيح الطبع غلاب"

.....

في اليوم التالي....

انتهت حلا من تنظيف الحمام بينما تولت ليلى مهمة تنظيف الشقة بأكملها كان منظرهما مضحكًا للغاية فكل واحدة منهما قامت بربط شعرها على طريقة جميلاتنا الفلاحات!!

أسندت ليلى المكنسة على الحائط وتنهدت قائلة:- ياااه أخيرا انتهيت.

امسكت حلا بظهرها متأوهة:- لقد كسر تنظيف الحمام ظهري.

ألقت كل واحدة منهما بجسدها على السرير بعد المجهود العظيم الذي قامتا به ليسترخيا على أنغام أليسا "ملكة الإحساس" مع قطع من الكيك والشاي بالنعناع.

***

تولت الجارة مهمة التصميم وحلا التنفيذ، قصت ليلى القماش الشيفون الأحمر وغطت به حلا مدخل الشقة ناثرة من فوقه الورد المجفف.

أما غرفة النوم فقد احتكرتها ليلى من ناحية التصميم والتنفيذ فغطت أرضيتها بالشيفون الأحمر، وألصقت على جدرانها قلوب حمراء من نفس القماش كانت قد قصته بأحجام مختلفة.. وزعت شموع حمراء على أرض الغرفة، وعند إحدى الزوايا وضعت طاولة صغيرة مغطاة بالشيفون الأحمر والجليتر متربعا فوقها صندوق خشبي ووردة حمراء مكتوب على أوراقها "أحبك" مع قصيدة حب بداخل الصندوق على

ورق أشبه بورق البردي!! كانت قد صبغته ليلى "بالنسكافيه" ليكتسب اللون الخشبي الفاتح بعد قيامها بكرمشته.

حتى دولاب إياد لم يسلم من اللمسات السحرية فقد فرغته بأكمله مكومة ملابسه في الغرفة الثانية واضعة فيه هدية كبيرة مغلفة بغلاف رقيق أحمر اللون، ثم أغلقت الدولاب بالمفتاح...

الوصول لتلك الهدية كان يتطلب البحث عن مكانها أولا وعن مكان المفتاح ثانيا وذلك عن طريق تفجير البالونات التي ملأت الغرفة للحصول على الورقة التي تدل بدورها عن مكان الهدية كنوع من الدعابة اللطيفة لكسر الروتين.

السرير.... غطته ليلى بلحاف أحمر مزين بالورد الأبيض على شكل قلب وبداخل ذلك القلب صورة لزفاف إياد وحلا...

أخر اللمسات كانت نوع خاص من البخور الإماراتي الذي أحضره صديق زوج ليلى له من الإمارات في أخر زيارة له لمصر.

ابتسمت ليلى مازحة:- هذا بخور إماراتي غال جدا، عادة ما يطلبه زوجي من صديقه الإماراتي عند زيارته لمصر كل عام.. ولكن حبيبتي الغالي يرخص لك.

قبلتها حلا امتنانا لها وقطرات الماء مازالت عالقة بها أثار حمام العروسة!!

صممت ليلى على تبخير حلا بنفسها... فوضعت المبخر على الأرض ووقفت حلا فوقه منفرجة الساقين ليتوسطها المبخر ثم أنزلت

قميصها الخفيف. تباشير البخور أخذت تشكل سحابات حول القميص، بعد تبخير جسمها انتقلت لشعرها، والله ليلى اتوصت بحلا!!!

جلست حلا مسندة ظهرها على الكرسي لتجفف شعرها بينما كانت ليلى منشغلة بتبخير فستان حلا الأحمر المطرز بالفضي، وقميص النوم والملابس الداخلية الدانتيل المثيرة جدا.

***

"الليلة الرومانسية الحمراء"

الساعة التاسعة –القاهرة– مصرالجديدة (أرض الجولف) — الدور الثاني.

تجلس حلا على الكنبة في انتظار إياد ، متوترة، تائهة، بداخلها تضارب بين الفرح والخوف الذي انتابها وكأنها لم تتزوج بعد!! فكانت هذه الليلة بالنسبة لها هي ليلة زواجها الفعلية التي لم تعشها بعد!

تكة مفتاحه أشعلت نار الشوق داخلها بلا سبب يدعو لذلك، تجول بنظره لتشمل نظراته المتفحصة حلا والشقة، امتزج بداخله شعوران مختلفان في الوقت نفسه، الفرح والاستغراب، مما أدى إلى صعوبة فهم ردة فعله..

أغلق الباب ومضى برفق حتى لا يفسد الورد المجفف الذي غطى الأرض، وعندما وصل عندها استقبلته بابتسامة رقيقة خجولة خلف غطاء الدانتيل الأحمر الذي غطى وجهها، رد عليها بابتسامة فرح عميقة.

إقترب منها ونفسه تحدثه بضمها إلى صدره لكنه تريث واكتفى بطبع قبلة دافئة على جبينها، قبل أن يرفع ذلك الغطاء بكل حنية.

كانت عيناها مصوبتان نحو الأرض تقطر حياء وكأن إياد غريب عنها.

أمسكها من ذقنها رافعا رأسها قليلا متأملها بعينين لامعتين فكل شيء فيها أعجبه.. فستانها، تسريحة شعرها، مكياجها، شفاهها الممتلئة بلون الكرز!

انحنى مقبلا يدها ذات الأصابع المطلية باللون النبيذي المثير!، جلس بجانبها فأثارته رائحة عطرها "jadore" من ماركة Dior لكنه احتفظ بذلك الإحساس داخله إلى أن يحن الوقت المناسب للإفصاح عنه!

– جمالك سحرني منذ أول يوم التقينا فيه..

مفعول تلك الكلمات الرقيقة كان سحريا فقد أعاد المياه لمجاريها في لحظات!

كانت تنتعل عروسنا صندلا فضيا متوسط الكعب، فضيا مثل التطريز الذي يزين صدرية الفستان، فلونه ذلك لم يكن من باب الصدفة بل دليل أناقتها.... كان للحمام المغربي مفعوله الرهيب في إكساب ساقيها تلك اللمعة المثيرة!

تحدثت هامسة:– حبيبي.. ما رأيك بحمام دافئ؟؟

– لقد جاء في الوقت المناسب فأنا في أمس الحاجة إليه.

سحره البانيو الملوكي المغمور بالمياه والورد، والشموع الحمراء الموزعة في كل مكان في الحمام.

– من فضلك أعطيني الفوطة. قالها مداعبا لها من خلف الباب.

ضحكت وهي تلامس يديه بخجل.

***

سمك وجمبري مشوي، طاجن السبيط بالبقدونس، شوربة see food، زينت طاولة الطعام.

جلس إياد على الكرسي الرئيسي متوسطًا طاولة السفرة كملك متوج بينما جلست حلا على يمينه كوزير يحلم بتولي الحكم!!

تناولا العروسان عشائهما بين أحضان الرومانسية حيث الشموع والورود الحمراء، كان إياد يتأملها وابتسامته لا تفارق وجهه فقد عادت ذكرياته لأيام الخطوبة .

قال بسعادة:– أحببتك بجنون، وما زلت أحبك، أنت الإنسانة التي حلمت بها طوال حياتي ولن يغير رأيي أي شيء يحدث بيننا، أعتذر لك عن عصبيتي وعدم تفهمي لمشاعرك.

قالت حلا مداعبة زوجها وهي تناوله طبق الشوربة:– فكك يا معلم.

قهقه قائلا:– انت المعلم يا معلم.

فز من كرسيه وأثار السمك على يديه، عانقها بقوة ثم حملها وضحكاتها الرقيقة تتطاير منها وهي تتوسل إليه أن ينزلها.

وضع إياد أميرته على السرير المغطى بالورد، ارتمت في حضنه باكية حتى ذابت الكلمات بينهما، صمتت هي للحظات وهو يداعبها بعينيه لتومئ برأسها موافقة للرقص معه.

ظلت عيناه سابحتين في عينيها ويداه في يديها يتمايلان مع أنغام الموسيقى هي بفستانها المثير وهو ببيجامته الحريرية والفرحة تتراقص من حولهما.

قالت حلا بخجل:- أشعر أنني عروس والليلة هي ليلة زفافنا إياد أنا أعتذر بشدة عن....

تنبأ بما تريد أن تقوله لذلك طلب منها أن تتوقف عن الكلام ليضمها بحنان إلى صدره يتحسس كتفها، شعرها، رقبتها:- زوجتي العزيزة أنا أسعد إنسان في العالم. ولو تحدثنا عن الأسف فأنا من يجب عليه أن يعتذر لك.. أرجوك انسي كل شيء ودعينا نستمتع بليلتنا

تمعنت النظر إليه بدلال أنثوي:- الليلة أنا (بابا نويل) وقد أحضرت لك هدية.. ولكن بشرط أن تعرف مكانها للحصول عليها.

ضحك بسخرية:- إذا كان بابا نويل بهذا الجمال لكنت وقعت في غرامه.. حبيبتي لست بحاجة للبحث عن مكان الهدية لأنني أعرفه..

قطبت حلا حاجبيها باستغراب:- كيف عرفت؟

- قلبي أخبرني بأنك أنت هديتي وقلبك مفتاحها.

كانا طفلين مرحين وهما يفجران البالونات للعثور على المفتاح، وها هي كل البالونات تحولت إلى أشلاء وليس لذلك المفتاح أي أثر، حتى وجده في كوب العصير.

اقترب منها هامسا:- شكرا على أحلى هدية في الدنيا!!

اكتفى الزوج القنوع بالمفتاح دون أن يأبه بالهدية التي بداخل الدولاب!!

تلاقت عيناهما في ضوء الشموع وضحكات حلا تقطع سكون الليل، وضع يده يتحسس شعرها فاستجابت فرحا لملامسة يديه القويتين لها، يداه اللتان تفيضان رجولة وأمان، تلك الرجولة التي في نظرها هي التدفق الغزير في الحنان والعطاء، مقدرة الرجل على تفهم رغبات المرأة التي يحبها، التعبير لها عن عواطفه بأفعاله قبل كلماته.

قوة اليدين تلك التي أحبتها لم تكن القوة البدنية وحسب بل القوة النفسية .. فأكثر ما كانت تحتاج إليه.. هو الإحتواء، الذي يجعله يسمعها قبل أن تتكلم، يداويها قبل أن تتألم، يكون بجوارها قبل أن تطلب منه ذلك.. أعتقد انها رجولة مستحيلة هذه الأيام!!!!!

طلبت منه أن يضيئ الغرفة لكنه رفض وبشدة!!!

غمس سبابته في كوب عصير الفروالة الموضوع على الكمودينو ملونا به شفاهها بعد أن تلاشت أثار أحمر شفاهها الكرزي!!

ارتفعت ضحكات حلا ودقات قلب إياد، ليذوبا عشقا وسكرا بتوليفة ذات مفعول سحري أكثر من مفعول الريد ليبل والشيفاز والفودكا المخلوطة بالرمان!!!.....

***

عاش إياد سعادة زوجية هانئة مع زوجته حلا التي أدركت معه أن الرجولة ليست فقط صفة واحدة بل هي مجموعة صفات نادرة، أهمها الإلتزام الديني الذي لمسته فيه مما أضفى عليه قدرا كبيرا من الرجولة الحقيقة....

لا تنكر أنها كرهت فيه مذهب "الزاوية المظلمة" الذي اتخذ منه أساسا لتقييم حياتها وأسلوبا لمحاسبتها، ذلك المذهب الذي جعلهما يعيشان في واقع كئيب، في حلقة مفرغة من الصعب الخروج منها، ولكن بعدما تعرف إياد على مذهب "الزوايا المتعددة" وتخلى عن الحدة والغلظة وتحلى بالحنان والحب والتفاهم أصبحت تشعر معه بالاستقرار النفسي الذي كانت قد افتقدته في البداية مما جعلها تقتنع بأن الرجولة ليست أمرًا ونهيًا وصوتًا عاليًا، وتمويلا للبيت وحسب، بل هي دفء وحماية وأمان، حماية لها من كل شيء حتى من نفسها!!!

***

مرت الأيام ومازال الظلام يشاركهما لحظاتهما الحميمية ، ولكن ذلك الأمر لم يعد يعني له الكثير، فقد تناساه فنسيه!!!

حياتهما أصبحت أكثر هدوءا واستقرارا... لا خلافات لا بكاء لا تهديدات!!!.. بعد أن احتوى إياد "زوجته" وتفهم رغباتها، وترفع عن صبيانيته ومراهقته المتأخرة تلك بالنظر إليها من خلف الباب وهي عارية تستحم في الحمام، أو أثناء تبديل ملابسها، أو حتى عند انكشاف ساقيها الممتلئتين وهي نائمة.

***

ليلة ثلاثاء.....

كان صدى تدفق الماء في الحمام يؤكد حالة الصمت التي أصابت البيت تلك الليلة، بعدما أغلق إياد التلفزيون، لينخرط بإكمال عمله على حاسوبه المحمول، بينما كانت حلا تستمتع بإنسياب الماء على ظهرها وهي تستحم.

كانت كعادتها العجيبة .. تغمض عينيها ثم تأخذ نفسا عميقا قبل أن تضرب برجليها الماء المنساب على البانيو لتسمع صوت خلخالها فيسليها في وحدتها تلك.

وفجأة وبلا مقدمات انقطعت الكهرباء .... انتظر إياد في مكانه عودتها بينما خرجت حلا كالمجنونة من الحمام ... كانت متناقضة مثل أي انسان تريد الشيء وترفضه في الوقت ذاته، أليس ذلك هو

الظلام الذي اختارته وأحبته؟؟؟ أليس ذلك الظلام هو الذي جعلته شريكا لزوجها في جسدها.. يضاجعها كما يضاجعه هو!!

فما سبب هروبها من ذلك الشريك الآن.. عندما خرجت من الحمام عارية كالبلهاء، لتجد نفسها عارية أمام إياد بعد عودة الكهرباء واستفزاز القدر.

وبشكل تلقائي وضعت يديها بشكل معاكس X على نهديها حتى تغطي جسمها من أعين زوجها المحرومة... لكن ردة فعل ذلك المحروم من التلذذ للنظر لما أحله الله له... جعلتها تكتشف صفة جديدة من صفات الرجولة التي خالتها في يوم من الأيام أنها مجرد صفة واحدة!!

خلع إياد الروب الحريري الذي كان يرتديه ليغطي به زوجته العارية معبرا لها بذلك عن إيمانه بأن العلاقة بينهما ليست مجرد رغبة تسيطر على كل تفكيره، إنما علاقة عاطفة بدون استغلال للجسد في وقت، وعاطفة وجسد في وقت آخر.

تشابكت يداها خجلا بعدما ألقت بالروب أرضا رافضة بذلك إخفاء جسدها عن زوجها بعد اليوم.....

استسلما لحديث أعينهما بعد أن طبع إياد قبلة دافئة على جبينها.....

***

عشيقة بالحلال

حسبك من السعادة، ضمير نقي، نفس هادئة، قلب شريف.....
(مصطفى لطفي المنفلوطي)

قبضت بعفوية على عضوي النائم لتوقظه، تحت البطانية الصوف كانت تخلع ملابسها الداخلية لتصبح عارية تماما ليست مبالية "بزعابيب أمشير".

اقتربت منها بتردد محاولا إقناعها عبثا بأنها زوجة أخي ولا يمكنني خيانته!!

ردت وهي تعض بأسنانها على شفتها السفلية تنفيسا عن شهوتها العشرينية الجامحة: "أحبك يوسف أحبك للأبد"

وفجأة ارتفع صوت أمي: الطعام جاهز

لتفيقني من خيالاتي الشيطانية التي سيطرت عليَّ بعد زواج أخي.

على طاولة الطعام المكونة من ستة كراسي اجتمعت عائلتي التي يترأسها والدي "المهندس ابراهيم" 59سنة ، مهندس مدني مازال يعمل بكل حيوية ونشاط في شركته الخاصة به رافضا بذلك فكرة الطلوع على المعاش والجلوس في البيت "زي الستات".

على يمينه جلست "الحاجة فاطمة" منشغلة بتفصيص السمك للحاج إبراهيم فقد عودته على ذلك منذ زواجهما حتى أنه نسي طريقة إزالة الشوك وأصبح لا يأكل السمك إلا بوجودها.

"الحاجة فاطمة" لقب أطلقه عليها المهندس العظيم تفاؤلا منه بأدائها فريضة الحج.

أمي تصغر أبي بأربعة عشر عاما، لم يكن زواجهما تقليديا ولا زواج أقارب بل جمعتهما قصة حب على ما أظن!! لكنها ظلت سرا بينهما فلم يتم التصريح بها حتى بعد زواجهما..

على يمين تلك الأم العظيمة جلست زوجة ابنها البكر. "شادي" مدام (حورية) ولكن الأن ليس الوقت المناسب للحديث عن شادي فكل تفكيري مع زوجته الجميلة التي اسمها إسم على مسمى فهي حورية بالفعل بشعرها الأسود المجعد وعيناها العسليتين المحدقتين بطبق الملوخية بالجمبري!

أما "العبدلله " فكنت جالسا أمام والدتي والزوجة الرقيقة مملؤ الرأس بالخيالات الشيطانية التي كنت قد أدمنت عليها حتى أصبحت لا تفارقني!

ها هو صوتها الملائكي أسمعه وهي تضحك، تتغنج، تغمس إصبعها المرمري في طبق الملوخية بالجمبري ثم تلعقه بشكل طفولي لكن مثير في الوقت نفسه!!.

في وسط معمعة الخيالات نشبت لقمة في حلقي فبرزت عيناي من مكانها، فزعت هي كالمجنونة من مكانها تمد لي بيديها الحريريتين كوبا من الماء ليزحزح تلك اللقمة العالقة!!

- سلامتك

- شكرا لقد نشبت اللقمة بحلقي..

المشهد حتى هذه اللحظة لم يكتمل ... فأنا لم أعترف بشكل قطعي، أنني كنت ممثلا بارعا وأن تلك اللقمة الوهمية لم تعلق في حلقي بل انطلقت في مسارها الطبيعي باتجاه البلعوم، المرئ، المعدة، وما بعد ذلك.

***

فاجأنا شادي بقرار زواجه من تلك الجميلة بعد رفضه وبشدة فكرة الزواج بسبب قناعته التامة أن مريض السكر لا يصلح للزواج!!

وبعد شهر واحد فقط من قراره الفجائي انتقلت تلك الرقيقة للعيش معنا في بيت العيلة المكون من ثلاث طوابق، وكل طابق مكون من شقتين... ليستقر الأمر بالعروس الجميلة في الطابق الثالث ولم احدد أي شقة منهما لأن شادي قد أزال الجدار الفاصل بين الشقتين لتصبح لهما شقة كبيرة واسعة يرمح فيها الخيل..

واليوم فقط تأكدت بخيانتي له .... عندما اسرعت نحو مكتبي الأسود اللامع حيث اعمل في شركة أدوية كمسؤول علاقات عامة واخرجت موبايلي الجديد من الدرج السفلي مجريا اتصال.

: – مرحبا ..ألو ..ألو جاء صوتها عذبارقيقا.

: – تحدث أمرتني بصوتها الملائكي.

كنت متأكدًا من أن حقيقة الموبايل الذي اشتريته وخبأته في مكتبي للإتصال بزوجة أخي ومعاكستها برسائل جريئة حقيقة تصدم الكل وأولهم أنا ...

عاودت الاتصال بها من جديد ولكنها لم تجب فاكتفيت بذلك القدر من المكالمات الليلية منتقلا إلى المرحلة التالية .. مرحلة الرسائل الرومانسية!!

شهر، شهران ،ثلاثة وأنا على هذا الحال اتصل بها وأراسلها.....

سحبت شهيقا عميقا وأطلقت زفيرا عنيفا من فمها:

: – يوسف أنا متضائقة جدا.. ولا أستطيع أن أبوح لغيرك لأن الموضوع سري للغاية.. أرجوك ساعدني فأنا في أمس الحاجة لك.

"فتحت فمي" وقد خيل لي الشيطان حينها أنها أخيرا ستعترف بحبها لي، لكنها صدمتني عندما اعترفت لي بسر خطير من وجهة نظرها...

: – حدث معي أمر ما واعتقدت حينها أنها مجرد فترة وستنتهي لكن الموضوع استمر بشكل مزعج.

: – أرجوك تكلمي بدون مقدمات فقد أخفتيني ..أنت عزيزة على قلبي بالإضافة أن أخي شادي أوصاني عليك قبل سفره

:- هناك شخص ما يتصل بي منذ فترة ولايجيب فقط يستمع إلى صوتي بصمت

قاطعتها متغزلا: - لأن صوتك كصوت العصافير

:- أرجوك ليس هذا الوقت المناسب للمزح. رمقتني بنظرة متفحصة.

:- دعني أكمل لك.. فبالإضافة إلى اتصالاته يقوم بإرسال رسائل غرامية كل يوم..

افتعلت الغضب، رسائل غرامية؟ ياابن الكلب. "سامحني يا ابويا شتمتك غصب عني عشان امثل الدور صح"... أرجوك لا تقلقي يا حورية فقط أعطني رقمه وأنا سأتصرف معه..

: - لا يوسف أرجوك لا أريد أي مشاكل مع ذلك المتطفل .. لأن شادي لو علم بالأمر ستصبح مشكلة كبيرة فأنت تعرفه جيدا كم هو غيور ومتهور..

انحنيت عليها ممسكا بيدها: - لاتخافي فأنا بجانبك..

ابتسمت ابتسامة اطمئنان ولا تعلم أن (حاميها حراميها)

: - اشتري لي يوسف شريحة محمول جديدة وإذا سألني شادي .. سأخبره بأن هناك عروض جديدة..

هززت رأسي متنهدا بعمق: — ماشي ياحورية الي تشوفيه آه بس لو تخليني اوصله وابهدل امه.

:- فكك من أمه.

***

أسبوع جديد وأرقام جديدة، رقم جديد لحورية، ورقم جديد لهاتفي السري فمن المؤكد أنها لم تجيب على الرقم القديم.

لقد عشقت لعبة تغير الأرقام فكل أسبوع كنت انتظر يوم الخميس بفارغ الصبر، لتطلب مني تلك الحورية ذات العينين المحكلتين بعدالعشاء مباشرة تغير رقم هاتفها النقال لإستمرار المعاكسات.

صمت لبرهة وكأنني اريد الإستمتاع بنشوة الإنتصار الذي حققته وأخيرا تكلمت:- أعذريني حورية لا أستطيع.. لأن شادي قد غضب مني بشدة عندما علم أنني من اشترى لك الأرقام الجديدة بحجة العروض والتخفيضات.. موضحا أنه هو من يقوم بدفع الفواتير ليس أنت يا حورية!

كنت مدركا مدى خطورة ما قمت به إلا أن تراجعي في ذلك الوقت بالذات بدا مستحيلا...لأنني بكل صراحة قد عشقت (لعبة المسجات)

شرحت لها ما يجب أن تقوم به في الفترة القادمة بنبرة واثقة من حنجرة رجل عاقل .

:- حتى لا تجعلي شادي يشك أعيدي رقمك القديم .. ولاتجيبي على أي رقم جديد وقومي بمسح الرسائل .. وعند عودة شادي اغلقي محمولك ..

(أسبوع الإجازة)

حدثت نفسي وأنا ممتنا لشيطاني الذي منحني العقل والوقت والجهد وساعدني بخدماته السحرية لتشويه صورة حورية في عين زوجها....

تحدث ضميري مبررا ما حدث "أحيانا تكون الخطايا المرتكبة مقدسة الهدف"

امتلئ قلبي بالحسد والغيرة والحب أيضا، لم أكن افهم ماهي علاقة الحسد بالحب إلا بعد دخول حورية لحياتي، لقد حسدت أخي على تلك الجوهرة الثمينة، وكيف لي أن احسده أو لا أحسده ... كيف أحسده وهو أخي الوحيد الذي طالما ضحى من أجلي وعلمني معنى التضحية التي لم أتعلمها ولا أريد حتى تعلمها، فعندما كنت في السابعة من عمري وشادي في التاسعة أهدى له عمي دراجة بمناسبة نجاحه في المدرسة أذكر يومها أنني بكيت ضاربا الأرض برجلي:- أريد دراجة مثل شادي

رد عمي بعنف ليس مباليا بمشاعري كطفل:- عندما تنجح مثل أخيك شادي سأشتري لك ما تريده لكنك الآن أنت فاشل ولا هدايا للفاشلين

السؤال الثاني الذي أطرحه .... كيف لي أن لا أحسده؟؟؟؟

وقد أعطاه الرب جوهرة ثمينة، غالية، لوحة فنية من لحم ودم يفوق جمالها ما رسمه ليوناردو دافنشي في لوحاته الشهيرة.... سواء لوحة (سيدة الصخور) Madonna of the rocks

التي تضمنت مريم العذراء جالسة بوضعية غريبة مع المسيح الرضيع ويوحنا المعمدان والملاك يوريبل على مجموعة نتوءات صخرية.

أو(الموناليزا) الجوكندا كما يلقبونها في فرنسا....

التي يجهل الكثير من معجبيها أنها خنثى ليس فقط في وجهها وحسب بل في اسمها أيضا والذي هو عبارة عن كلمة مدمجة تدل على الاتحاد المقدس بين الذكر والأنثى "أمون آلهه الخصوبة الذكرية – ايزيس آلهة الخصوبة الأنثوية التي كانت تكتب بحروف تصويرية ليزا

L isa،L,isaAmon = Monalisa

وهذا سبب ابتسامة الموناليزا الغامضة أنها ببساطة خنثى ليست إمرأة ولا رجل مجرد أنصاف نوع بشري[1].

أما حورية، بكعبيها المستديرين الحمراوين مثال للأنوثة الخالدة "لا تقولي الموناليزا ولا الجوكندا" .... قد تكون عشيقتي ممتلئة قليلا من بطنها لكنني أعتقد أنها لو هزت تلك البطن لاجتمع العالم كله راكعا تحت قدميها رجالا ونساء من فرط الإثارة!!!

آه من تلك المرأة ذات الجسد الخالي من العظم، وباستهلاكه البسيط الذي لم يتجاوز مرة واحدة في الشهر.

الاستهلاك البسيط لجسدها المرمري بسبب مرض شادي الذي أصابه عندما كان في السابعة من عمره ليصبح ذلك المرض توأمه الملتصق الذي لا يستطيع فصله أشهر أطباء العالم.

فمرضه ذلك كان سببا مقنعا لأحسده على تلك الجوهرة الثمينة التي تزوج بها وهو غير مؤهل للزواج أصلا.. فمن سيدلل تلك الحورية سوى شخص بكامل صحته .... مثلي أنا ...أنا وحسب....

أربعة وعشرون أسبوعًا في شرم الشيخ وأربعة وعشرون أسبوعًا في القاهرة هذه طبيعة عمل شادي، وبحسبة أسهل أسبوعان في شرم الشيخ وأسبوعان في القاهرة.

مر أسبوعا العمل ثقيلان على شادي وهو وحيد في تلك البلد التي كرهها قبل أن يكره أسلوب الحياة فيها لتقتصر حياته هناك على العمل والمرضى!

كنت أتابع تلك الحورية المسكينة وهي تروح وتجيء من خلف صفحات الجريدة التي نشرت خبر وفاة المطربة اللبنانية سوزان تميم الذي قد صادف تاريخه تاريخ عودة شادي يامحاسن الصدف!!!

تنفست بعمق وأنا أغلي محضرا خطة يهودية لعشيقتي التي ستقابل أخي المريض بعد ساعات..... (هانت كلها فترة بسيطة وتبقى ملكي)

- حمدالله على السلامة حبيبي.. قالتها وهي تركض نحوه وتتكلم بسرعة لكي تغمره بشوقها ولا تترك له مجال للانشغال بسواها.
- الله يسلمك حبيبتي .. إنتظري قليلا حتى أسلم على والديَّ

تحدث إليها بصوت منخفض.

أطبقت فكي العريض منزعجا من تلك اللهفة التي اعترتها سائلا نفسي.. لماذا كل ذلك الشوق تجاه ذلك المريض المعتوه؟؟؟

"ترحيب- عشاء- شاي – دردشة"

ذلك ما حدث ليلة وصول شادي .. فقد رحبنا به وتناولنا العشاء سويا ومن ثم احتسينا فناجين الشاي التي سافرنا معها إلى شرم الشيخ مع حكاوي شادي وأخباره.

كانت تتململ في جلستها ولا تتردد في أن تغمز لزوجها بين الحين والآخر تنبيها منها له بالذهاب إلى شقتهما، وذلك المعتوه مسترسلا في حديثه وكأنه غبي لا يفهم ما تعنيه تلك المهرة الجامحة ...

دخلت غرفتي مغلقا الباب خلفي بإحكام بعد أن انطلقا هما إلى شقتهما، استلقيت على سريري متخيلا لقاءهما.

انتابتني رغبة فجائية في تقمص دور مخرج سينمائي وأنا اتخيل عدة مشاهد لشادي وزوجته في غرفة النوم:

1/مشهد ماقبل اللقاء. 2/مشهد اللقاء. 3/مشهد ما بعد اللقاء..

تخيلتهما في شقتهما الزوجية الكائنة بالدور الثالث في بناية من ثلاثة طوابق في مدينة نصر ... وبقربها زوجها المريض المعتوه الذي لا يستطيع أن يستمر في مضاجعتها دون أن يتوقف لشرب الماء..

أخرجت سلاحي اللعين "موبايلي السري" واتصلت بها قاطعا خلوتهما ولحسن حظي أنا ولسوء حظها هي كان موبايلها مفتوحا وكأنها نسيت ما طلبته منها بأن تقوم بإغلاقه حين عودة شادي!!

جرس ...جرس ... لا أحد يجيب وأخيرا رد (آلو آلو.) لكنه لم يكن ذلك الصوت الملائكي الذي أدمنت سماعه... كان صوتًا غليظًا، حادًا، مريضًا أيضًا "إنه شادي" فأغلقت الخط بلا تردد.

انتظرت دقائق قبل أن أعاود الاتصال.. ليتكرر نفس السيناريو مرة أخرى.. هو يجيب وأنا ألتزم الصمت .. كررت ذلك مرتين، ثلاث مرات.. ثم اختتمت الليلة برسالة قبل أن أخلد إلى النوم بلا ضمير.

تحدثت حورية لشادي بنبرات متوترة خائفة:- لم أشأ أن أخبرك بالأمر فقد ظننته مجرد فترة وستنتهي لذلك كنت أقوم بتغير رقمي لكنه كان يصل إليه!

قطب شادي حاجبيه بغضب واضح:- لقد قلتها بنفسك أنه كان يستطيع الوصول إليه!

: - ماذا تقصد.. هل تشك بي؟؟

ابتسم قائلا :- إذا تسربت إلى قلبي ذرة شك كنت ستصبحين من عداد الأموات.. أنا أعرفك جيدا وأعرف أخلاقك ..لكن من ذلك الحقير الذي يتصل بك في هذا الوقت ويرسل لك هذه الرسائل الغرامية أخبريني؟؟

كنت قد غيرت مسار مكالماتي وبدأت مع شادي لعبة الرسائل الغزلية لأتمكن من حرق أعصابه على نار هادئة، لا أعلم لماذا اتصلت بها في تلك الليلة "ليلة عودة زوجها" ولا أعلم لماذا لم أكف عن الاتصال بعد سماع صوت شادي وكأنني تعمدت إدخال الشك في قلبه المريض!!

***

انتهت الإجازة ولم تعد كل المياه إلى مجاريها، فقد عاد شادي إلى عمله محملا بالشك الذي كبر بداخله شيئا فشيئا حتى كون صرحًا عاليًا قويًا متينًا من الصعب هدمه.

كان شادي متأكدا من إخلاص زوجته ومدى حبها وتقديرها له لكن كل ذلك لم يمنع الشك من اقتحام قلبه وعقله... وكأنه مؤمن بأن الخيانة طبع من طبائع النساء لا يمكننا لومهن عليه!!!!

جنون الشك جعله يتصل بها كل ساعة بل كل ربع ساعة ليتأكد من عدم انشغال هاتفها النقال .. وإذا صادف بها الأمر ولعب القدر معها بقذارة ووجد هاتفها مشغولا ينهال عليها بسيل من الكلام البذئ بطريقة تؤكد مدى شكه !!

فجأة وبلا سابق إنذار عاد شادي إلى القاهرة بعد ثلاثة أيام فقط من سفره، ترجم استفهام والدي بأسئلة عديدة انهالت عليه فور وصوله مجيبا بحجة صحته (إنني متعب نوعا ما وأحتاج إلى الراحة)

لم أشأ أن أزيد عذابه عذابا في تلك الليلة لأنه كان بحاجه للراحة بعد ساعات السفر الطويلة، صعد هو لشقته حيث الحورية المظلومة وخلدت أنا إلى فراشي...

الساعة الثالثة صباحا

جرس الموبايل يرن.. يرن وأنا نائم وفجأة استيقظت مستائلا ترى من الذي يتصل بي في وقت كهذا من المؤكد أن هناك أمرا ضروريا؟؟

أغمضت عيني لثوانٍ قليلة قبل أن أفتحها بشكل طبيعي وأنا أمسك الموبايل بيدي اليمنى حاجبا بيدي اليسرى ضوء شاشته، وقتها صدمت لا بل صعقت... عندما رأيت رقم شادي فأنا أحفظه جيدا بالرغم من ذاكرتي الضعيفة ... ولكن ليست الغرابة في اتصاله إنما في اتجاه اتصاله فقد اتصل على نقالي الخاص الذي اشتريته لزرع الشك في قلبه ...

ترى لماذا يتصل بي في هذا الوقت؟؟؟ أسئلة كثيرة دارت في رأسي حتى أصابتني بصداع .. فنهضت فزعا من السرير بعد أن شربت كوبًا من الماء حتى أوازن هرموناتي قبل أن أتوجه إلى الحمام....

البرد قارس ودرجة الحرارة منخفضة وأنا تحت مياه الدش الباردة أغسل رأسي لأزيل ما علق بها من أفكار عندما قررت التوقف عن تلك اللعبة "لعبة الموت" ... لكن ما أنا متأكد منه تماما أن تلك الأفكار لم تزل أبدا ..ربما لعيب في الشامبو أو في المياه نفسها أوفيَّ أنا أصلا...

رنات ..... مكالمات... مسجات...كل تلك كانت أسلحتي في معركتي، تعمدت تصيد الوقت الذي يجمعهما لأفجر قنابلي..

"حبيبتي حورية..كم مقدر مدى عذابك ومعاناتك مع زوجك المريض.. لكن أرجوك اصبري فلم يتبق إلا القليل حتى نحقق أحلامنا.. صدقيني سأشتاق إليك جدا وأنت في شرم الشيخ لذلك عودي بسرعة فأحضاني تناديك!"

أرسلت رسالتي تلك بعد أن أقنعت حورية شادي بسفرها معه إلى شرم الشيخ بحجة تغيير الجو وفتح صفحة جديدة) كنت صياد ماهر ولكن في المياه العكرة فقط!!)

أكدت تلك الرسالة ظنون شادي وأن فكرتها الخبيثة لم تكن إلا من باب "الضحك على الذقون" مسكينة تلك الحورية...

شلالات رسائل غزيرة إنهالت على نقالها لينهال عليها شادي بعد ثلاثة أيام ضربا ليس مباليا بصراخها ولا بألمها.....

:- أرجوك ارحمني يا شادي صدقني لا أعرف شيئا عن ابن الحرام ذلك صدقني أنا مظلومة

كان مندمجا في الضرب وأخيرا رد عليها.

: - أنت ابنة الحرام ..لكن لا لوم عليك فأنا المخطئ لأنني وثقت بك وتزوجتك لكنني لم أكن أعرف أنك مجرد خائنة ساقطة.

جاء دوري الآن ... صرخت شادي هل جننت؟؟ لقد جننت لا محالة وليس لك مكان سوى مستشفى المجانين فهذا تفكير جنوني منك كيف تقول ذلك على زوجتك؟

:- اسكت انت يا يوسف ..لأنك لا تعرف شيء عن حقيقة هذه الساقطة التي خدعتنا جميعنا.. تحدث شادي متأكدا

تركتها تهدأ تماما قبل أن اتحدث إليها، كانت تلك أول مرة أراها بهذه الحالة فقد اعتدت على صمتها في كل مرة تتشاجر معه " لا دموع ولا كلام" فقط تنطق بعبارة واحدة "البيوت أسرار" لكن في هذه المرة كان الوضع مختلفا تماما... فقد تكلمت، أفصحت، وبكت ولكن لم يصدقها أحد حتى أمي وأبي كانا في صف ابنهما.....

رحلت إلى منزل أبيها، وبعد انتهاء شهور العدة ذهبت لزيارتها فاستقبلني والدها بطريقة غير لائقة لكن كله يهون "لأجل عين تكرم مدينة"

حيث لم يمنع والدها من طردي في ذلك اليوم سوى ترحيبها بي وطلبها منه أن تجلس معي بانفراد وكأنها كانت في انتظار زيارتي لها...

أجهشت طليقة أخي بالبكاء:- لقد طلقني شادي بطريقة غير لائقة بعدما اتهمني بالخيانة واقنع الجميع بذلك عندما صرح أن بحوزته دليل خيانتي ...

صمتت قليلا ثم أردفت:- كنت أبوح لك بكل أسراري بل وأدق أموري فكنت لي بمثابة أخ وصديق فأنت الوحيد الذي يعرف برائتي وطهارتي.

قاطعتها:- أهدئي ياحورية، اشربي قليلا من الماء وامسحي دموعك فدموعك غالية عليَّ.

:- يؤسفني أن أقول لك أنه ليس بيدينا شيء لتغيير الماضي ولا حتى لإثبات إخلاصك لزوجك فكل تلك أمور خارجة عن إرادتنا وربما القدر أراد تسيير الأمور بتلك الطريقة ليختبر مدى صبرك وإيمانك.

سيطر اليأس عليها وهي تقول:- ونعم بالله لكن يجب أن يصدقني شادي فأنا بريئة

قاطعتها بعنف:- أرجوك صديقني لقد انتهى الموضوع .. ومن المستحيل أن يتراجع شادي عن قراره ..

: - لكنني مازلت أحبه يا يوسف ...أرجوك ساعدني وأقنعه بأني لست خائنة .. فأنت الوحيد الذي يعرف كافة التفاصيل..... تحدثت بصوت منخفض وهي تجهش بحرقة..

:- أي حب ذلك الذي يجعلك ترضي بالإهانة بعدما ضربك وطردك من منزله وأخبر الجميع بخيانتك ...حورية لا تجعلي عواطفك تسيطر عليك يجب أن تفكري بعقل أيضا، صرخت فاقدا أعصابي.

ثم أكملت : – لقد أتيت اليوم وأريد أن اعرف قرارك النهائي بخصوص حياتك..فأنت لك مطلق الحرية في الإستمرار بالغرق في أحزانك ..أو بدء حياة جديدة مع شخص يحبك ويحترمك ويعرف حقيقة برائتك..

إستفهمت قائلة:– حياة جديدة ؟؟ من ذلك الشخص الذي سيرضى بي بعد أن أصبحت سيرتي على كل لسان!!

:– أنا، حورية .. فقد أتيت اليوم لطلب يدك فهل تقبلينني زوجا لك؟؟؟؟

***

شاطئ كليوباترا

كانت حورية قد سمعت عن هذا المكان الذي يبعد عن مرسى مطروح 5كيلومترات، وما يتميز به من بريق تاريخي خلاب يتمثل في صخرة ضخمة ظهرت لحورية للوهلة الأولى صماء بدون حياة، لكن ما أن اقتربت منها ودخلت عبر بوابتها حتى أخذها منظر دخول الماء وهو ينساب من إحدى فتحاتها إلى فتحة أخرى في شكل طبيعي إلى عالم أخر.. تلك الصخرة التي تحتوي على فتحات من السقف تسمح بدخول أشعة الشمس إليها وتدفئة الماء أثناء الاستحمام.

عبر البوابة الفرعونية المقامة على رأس هذا الشاطئ مشينا غائصين الأقدام وسط الرمال البيضاء حتى وصلنا إلى شاطئ ذي صخور خشبية .... عندها وجدنا حمام كليوباترا يناديناا!

استرخت حورية على الرمل الأبيض رامية ماضيها الأليم عليه، متأملة الشمس بعينين حالمتين بمستقبل جديد وحياة أكرم.

كانت ترسل لي بين الحينة والأخرى إبتسامة سحرية عبر أمواج البحر التي كانت تحيط بنا من كل النواحي.

مرسى مطروح

ذلك المكان قد اختارته حورية لقضاء شهر عسلنا وقد وافقت على طلبها بدون تفكير كمحاولة لتعويضها عن كل ما افتقدته أيام زواجها بأخي.

سعادتي كانت غامرة وفرحتي لاحدود لها بعد أن أصبحت عشيقة السنين الماضية زوجتي... حلالي...

:- سأعوضك بحبي عن كل شيء افتقدتيه يا حورية

همست لها بينما كانت تجلس في مواجهة البحر والشمس الدافئة وتلعب بحبيبات الرمل البيضاء بيديها الناعمتين.

:- الله أعلم بطهارتي وبرائتي.. لذلك عوضني بك.

عاودت اللعب بحبيبات الرمل محاولة منها لتهدئة أعصابها وهي تتحدث بهزلية.

:- كل الحب والعشرة التي جمعتني أنا وشادي طوال تلك السنوات طارت مثلما تطير حبيبات الرمل هذه الآن.

***

عندما يخسر الرجل كل شيء .. ولا يصبح لديه شيئا آخر ليفقده .. عليه وبسرعة أن يرفع راية الاستسلام كاظما لهيب أحزانه .. ويسافر بعيدا.. بعيدا....

ذلك بالضبط ما فعله شادي عندما لم يقو على مواجهتي بعد زواجي من طليقته فقد اعتبر فعلتي تلك إهانة له وأنهى علاقتنا الأخوية للأبد حتى بدون وداع أخير.

انتبهت على صوت أمي وهي تقول بابتسامة مفتعلة

:- حمدالله على السلامة.

اقتربت حورية من والدتي جالسة بجوارها قبل أن تطبع قبلة سريعة على جبينها وكأنها تلطف الجو المتوتر نتيجة زواجنا المفاجئ ... نظرت أمي الحاجة فاطمة إلى حورية كأنها تراها لأول مرة ..

:- كم هي غريبة هذه الدنيا فمن عدة أشهر فقط كنت زوجة ابني الكبير... والآن بكل بساطة أنت زوجي ابني الصغير.. لقد ظلمك من أسماكي حورية .. فأنت أفعى سامة..

قلت مستنكرا:- ما الذي تقولينه يا أمي، حورية زوجتي الآن وكرامتها من كرامتي لأنها ببساطة تحمل اسمي.

ردت بسخرية:- أتمنى أن تحافظ على اسمك ولا تضع رأسك في الطين مثلما فعلت مع أخوك!!

مزيج من الإستهزاء واليأس خيم على أمي في تلك اللحظة.

غار حاجب حورية وهي تنصت إلى كلامنا لتنظر إلى أمي بإنزعاج وهي تتكلف الابتسام:- سامحك الله.. لن أرد عليك بكلمة لأنك مثل أمي.

:- لا تقولي أمي فأنا لا أتشرف أن تكون لي ابنة مثلك!!

انطلقت بسرعة إلى الداخل لكن أمي لحقت بها لتوقفها: يا لك من وقحة بالفعل .. فقد دخلتي منزلنا هذا وأنت زوجة ابني شادي .. وخرجتي منه وأنت خائنة.. والآن بكل بساطة تعودين إلينا وأنت زوجة ابني يوسف.. ماذا تنوين على فعله أيضا.. أخبريني؟؟

توقفت حورية عند باب الغرفة شاحبة وقد بدأ المكان يدور بها فلم تتمالك نفسها وألقت بجسدها على أقرب كرسي قابلها.

كانت دقات قلبها تهزها بشدة وهي تسترجع ذكرياتها المؤلمة مع شادي التي قفزت فجأة إلى دماغها.

فقد أهانها بشدة وهو ينعتها "بالخائنة" ، "الساقطة" قبل أن يرفع يده ليصفعها ويشد شعرها.

وقتها تدخلت محاولا حمايتها من ذلك المريض الشرس، ومن لسان أمي الحاجة فاطمة "اللي زي المطرقة"

بكت حورية يومها وأنا أوصلها إلى بيت أهلها وهي تقول

:- مازال صوت شادي يدوي في أذني وهو يقول يا "ساقطة".

أحبتني حورية ووثقت فيَّ ...لكن دعوني أخرج بكم عن الإطار القصصي لأطرح عليكم سؤال في غاية الأهمية ... هل الحب سبب الثقة أم الثقة سبب الحب؟

فأنا أؤمن بأن عالم الحب لا يعترف بأي قانون ولا منطق عقلاني، يعتمد فقط على شعار واحد موحد في كافة البلدان والأديان بين العشاق... أنا أحبك أنا أثق فيك؟؟

لكن تجربتي مع حورية جعلتني أفكر أكثر في موضوع الحب والثقة أيهما سبب للأخر وأيهما يأتي أولا؟ هل أحبتني لأنها تثق بي؟ أم أحبتني لذلك تثق بي؟

تسائلت كثيرا إلى أن توصلت أنها سواء أحبتني ووثقت بي أو العكس فهي كانت تبحث عن الأمان والإستقرار في جميع جوانب حياتها المادية والمعنوية.

ذلك الأمان الذي افتقدته مع شادي عندما وجدت نفسها بين يوم وليلة في بيت أهلها، مطلقة، ومنعوتة بالخيانة أيضا، بلا أي ذنب اقترفته سوى أنها بكل بساطة مميزة عن الجميع ذلك التميز الذي جعلني أحبها لابل أعشقها بجنون، عشقها الذي جعلني استبيح كل المحرمات واتمرد علىكل القوانين بحجة

"لما تحب حاجة تعمل المستحيل عشان توصلها" وكأن تلك "الحاجة" عبارة عن موبايل، أو سيارة، أو شقة ...لا إنسانة من روح ودم وسمعة وشرف.

وبعد "هدم زواج أخي" تحول حلمي إلى حقيقة.. فحورية الآن في بيتي، بين أحضاني....

أحبتني –وثقت بي– صدقتني ...كانت كالطفل الذي يضحك عندما تقذفه في السماء لأنه ببساطة متأكدا من أنك ستلتقطه ولن تدعه يسقط على الأرض.

فلم يخطر ببالها أبدا أن ذلك الزوج الحنون المخلص هو نفسه الذي دمر حياتها بطعنة دامية من الخلف، حمدت الله كثيرا على ستره قبل أن أقلب صفحة الماضي للأبد مقنعا نفسي بأن الضرورات تبيح المحظورات، وأن حبي لها كان ضرورة بل وضرورة ملحة أيضا.

طرت بعشيقتي بعيدا، مودعا أهلي الذين رفضوا وبشدة ذلك الزواج، ودعت بيتي الذي كان يذكرني كل ركن فيه بلمسات شادي لها أيام زواجهما.

أخبرتني في ساعة صفا على كوبري قصر النيل ونحن نأكل حمص الشام في عز البرد...

:– الحب مجموعة من المعاني المختلفة منها ما هو رائع ومنها ما هو بائس والمحظوظ من يحصل على المعنى الأول، لذلك علينا أن نحسن الاختيار في الحب حتى لا نندم ونتألم.

ترى ما الذي قالته؟؟ أيعقل أن تكون قد عرفت شيئا؟؟ . كدت أن اختنق بحبات الحمص المستديرة فوضعت الكوب جانبا وأنا أحدق فيها من وراء عدسة النظارة.

:- ماذا تقصدين يا حورية؟ هل أنت نادمة على الزواج بي؟

:- يوسف لا تسئ الفهم فقد أحببتك قبل أن أتزوجك وأنا متأكدة من حسن اختياري فأنت ذلك الرجل الذي طالما حلمت به. قالتها بحزم واضح .

ابتسمت ابتسامة عريضة متسائلا:- تثقين بي؟

:- لا استمرارية بدون ثقة.

صعقتني كلماتها لأنها تدل بكل بساطة على معنى واحد فقط .. هو أن علاقتنا ستنتهي في لحظة اكتشافها الحقيقة.

قررت إزالة آثار الماضي للأبد كما أزيل الآن ما علق بشاربي من بقايا حمص الشام..

***

شعرت بدوار رهيب عندما كنت أمشي متعبا نحو الطرف الآخر من غرفة المعيشة وكلمات حورية مازالت تتكرر في رأسي مرة تلو الأخرى ..وعند نهاية ذلك الممر الطويل كانت دورة المياة فإتجهت نحو المغسلة حيث الإضاءة قوية بفضل اللمبة الجديدة التي قمت بتركيبها هذا الصباح بعد أن ودعت اللمبة القديمة الحياة، نضحت وجهي بالماء البارد محاولا أن أصحو.. جففت يدي ووجهي لتصبح ملامح وجهي أكثر وضوحا على المرأة.

- يا إلهي ما بي أبدو متعبا، شاحب اللون وكأنني خائف من شيء ما؟

تسائلت في صمت مرة أخرى:- وكأنني خائف من شيء ما؟

قطع تساؤلاتي صوت صرير الباب يغلق فاتجهت مسرعا باتجاه ذلك الصوت واقفا بجانب السرير محدقا بها بذهول! فمنذ لحظات فقط كانت تغط في سبات عميق بشكل أوهمني أنها لن تستيقظ إلا بعد ثلاث سنوات كالحلزون!! وبالرغم من ذلك كله فاقت كالفرسة بكل نشاط وحيوية..

وقفت أمامي وهي تحاول التقاط أنفاسها بعد أن هرعت عائدة إلى فراشها:

:- لقد أخفتني!!

:- ماذا كنت تفعلين ؟؟

:- لا شيء حبيبي ... فقد أقفلت الباب منذ قليل بعدما أقلق منامي نور الحمام..

لم أبد أي رد فعل وعيناي تسبران أغوار حورية محاولة قراءة أفكارها وما يجول بذهنها.. ترى لماذا استيقظت فجأة؟ ولماذا كانت تحاول إغلاق الباب أيضا؟ .. أكانت تريد أن تبحث عن شيء ما؟.. أم كانت تريد تحاشي نور الحمام وحسب؟.. تسائلت كثيرا حتى غفوت من شدة التعب والقلق.

اضطرابات معدة، خفقان قلب، برودة أطراف كل تلك الأعراض الفيسولوجية الجسمية كانت تزورني من وقت لآخر.

مما أثر على تركيزي وتفكيري فأهملت عملي وعشيقتي..

لكن لماذا كل ذلك القلق الذي انتابني ومن أين جائني ولماذ استقر عندي بهذا الشكل المقيت؟ لقد كان ذلك القلق ضيف ثقيل غير مرحب به وأتمنى أن يرحل سريعا عني، يتركني أنعم بأيامي مع زوجتي العزيزة.

كانت قدمي اليمنى في عالم الحاضر وقدمي اليسرى في عالم الماضي، ولا أتوانى أحيانا كثيرة عن وضعهما الاثنتين على أرض الماضي ... ذلك الماضي الذي خنقني وعذبني بملازمته لي كظل مقيت لا يختفي بغروب الشمس ولا حتى بإنقطاع الكهرباء.

"يوم ليك ويوم عليك" كانت عبارة تلازمني في كل مكان في البيت، في المكتب، في الشارع، على طاولة الطعام، أوحتى تحت الدش وأنا أغسل همومي.

كنت على قناعة تامة بأن الله لن يتركني أنعم طويلا فمن المؤكد أنه سيرسل لي من يفعل بي كما فعلت بشادي، من سيهدم حياتي ويخرب بيتي، من سيسلب أعز شيء لي وهي رجولتي، فلا يوجد رجل يقبل بخيانة زوجته.

تسائلت هل من الممكن أن أكون سلبي لدرجة شادي وأقتنع بخيانة زوجتي؟ ولما لااقتنع وهنالك شياطين عباقرة في الإقناع واللعب بالدماغ .. مثلي!

قفزت من على مكتبي الأسود اللامع حينما قرأت "حكمة اليوم" وأنا أتصفح الإنترنت كعادتي قبل البدء بالعمل...

(حين أرى الظلم في هذا العالم أسلي نفسي بالتفكير في أن هناك جهنم تنتظرهم) المفكر الفرنسي "جان جاك روسو"

يا إلهي لماذا تذكرني الأيام كل لحظة بغلطتي .. أخذت أردد تلك العبارة بتمعن وسئلت نفسي .... ترى لو كنت قرأتها من قبل ذلك أكنت سأغير رأي؟

هل كنت سأنسى عشيقتي وأتركها لأحضان أخي وأتلوى كل دقيقة من شدة الغيظ؟

لقد أنساني عشقها كل شيء، أخوتي، عقلانيتي، إنسانيتي أيضا، فلم أعد أتذكر أي شيء سوى الظلم.

تلك الكلمة التي لها عدة وجوة وعدة طرق ولكن طعم واحد... مرارة القهر والإحساس بالضعف، نعم لقد قهرت أخي بعدما ظلمته ليظلم زوجته أيضا وهو يصفها بالخائنة، وها أنا وحيد في متاهة الظلم التي صممتها بنفسي دون مساعدة أي مهندس معماري.

متاهة بدأت بظلمي لنفسي، حورية، شادي، الذي بدوره شاركني في هذه اللعبة القذرة بدون لقصد.. والأن أنا في انتظار عميل جديد لمتاهتي ظالما وليس مظلوما لأنه حتما سيأتي اليوم الذي سأظلم فيه ولا أظلم.

زواجي من حورية عرفني معنى الحب الحقيقي، ذلك الحب المتمثل في حب الله، حب الأهل، فمواظبتها على صلاتها وعلاقتها بربها واهتمامها بأهلها ومساعدتهم في حل مشاكلهم...

شخصيتها الشفافة أيقظت فيني الكثير من الأمور التي كنت قد غفلت عنها طويلا، مؤكدة لي أن أسوء مرارة يتذوقها الإنسان تلك التي يتجرعها من ظلم أقرب الناس إليه ..

ترى ماذا ستكون ردة فعل شادي إذا عرف بالحقيقة؟ هل سينسى ظلمي له؟ أوسينتقم مني؟

ما أنا متأكد منه أنه سيسامحني ليس لكونه إنسان عظيم وحليم بل لأنه إنسان مؤمن وإيمانه ذلك يجعله يرفض إهدار وقته وطاقاته في التفكير بالانتقام.

فهو بذلك سيرد علي باستمراره في حياته ونجاحه وعطائه للآخرين، وعدم وقوفه عند حدود كنت أظن أنه لا يستطيع أن يتجاوزها.

استنتجت تلك النظرية من حديثه معي عن الظالم وأهدافه من الظلم ذات ليلة.

عندما تحدث قائلا:— إذا ظلمني شخص في يوم من الأيام لا أفكر أبدا في الانتقام منه لأنني بذلك سأصبح ظالما مثله، وجميع المذنبين يريدون رؤية الناس مثلهم.. ولذلك يا يوسف أنا راضٍ بأن أكون مظلوما خيرا لي ألف مرة من أن أكون ظالما لأنه يكفيني ببساطة أن

أضع رأسي على وسادتي وأنام بلا تأنيب ضمير، أما الظالم فيكفيه أن يعيش وفي داخله خوف، وحدة، وحقد فلا يرى في عيون كل من حوله إلا الكراهية وحب الانتقام فيعيش طول عمره في عذاب انتظار انتقام من ظلمه، فلا يطعم للحياة طعم ولايعيش فيها مرتاح البال، أما المظلوم فيكون على يقين تام بأن هنالك عدالة إلهية وأن الله وحده هو المنتقم الجبار الذي يستطيع أن يضع نهاية لكل ظالم.

اختتم شادي محاضرته عن الظلم بعبارة هزتني عندما تذكرتها: "لا تنتقم من ظالمك ولكن اجلس على حافة النهر وانتظر ولسوف ترى جثته طافية فوق الماء بعد قليل دون أن تلوث يدك بدمه"

***

عشيقتي مستلقية على السرير تمسك بيدها اليمنى زجاجة زيت مخروطية الشكل، تنظر لي بشبق أنثوي وهي تمرر زجاجتها تلك بين شفتيها، خديها وصولا إلى رقبتها حتى ظننتها قد توقفت عن إكمال ذلك البرومو المثير... لكنه كان توقفا مؤقتا تمهيدا للتوغل أكثر في تلك المنطقة الثرية بالأعصاب الحسية.

خلعت قميصها التركواز بطريقة مستفزة تسحبه باتجاه فخذها وتعيده مرة أخرى لمكانه وهكذا أخذت تكرر نفس الحركة تسحبه للأعلى قبل أن تنزله باتجاه فخذها.

كنت أتابعها بشغف وكلي أمل أن يمر الوقت سريعا وتخلع ذلك القميص اللعين، وبعد استجابة دعائي وتحقق مطلبي...

أخذت تتلألأ مسام جلدها البرونزي.. بذرات الزيت المكون من مزيج من زيت الزيتون وقطرات من زيت الورد الذي تعشقه..

كانت حوريتي تتقلب على السرير وهي تبتسم ليست مبالية ببقع الزيت على المفرش السكري الجديد!!

سكبت مزيدا من الزيت على وركها الممتلئ وهي تدلكه وفجأة توقفت وانقلبت بهدوء على ظهرها وكأنها اكتفت بذلك القدر من التدليك.

وقفت راكعا فوقها منفرج الرجلين على جانبي جسدها المتلألئ وأنا أمرر يدي بخفة على شعرها:- سأريك اليوم أصول المساج يا أميرتي.

همست في أذنها قبل أن ألعقها: أحبك عشيقتي.

أعصبت عيناها بسوتيانها .. وأخذت أتحسس أجزاء من جسمها بحركة بطيئة بأسلوب يتسم بالشغب، فأدخلها تارة في جو المساج وتارة في جو الجماع.

(الشياتسو) كلمة طبية يابانية متألفة من جزئين. "شي" تعني الأصابع "تسو" تعني الضغط، ويعتمد هذا النوع من الطب على استعمال أصابع اليد للضغط على نقاط معينة من الجسم لتساعد على الاسترخاء وهو نوع من العلاج يعتمد على الفكرة الصينية الخاصة بالطاقة التي تعمل على أساس تدفق الطاقة الحيوية والدم

بأجزاء الجسم المختلفة لإعادة توازنها المفقود بسبب أسلوب الحياة الخاطئ الذي يصيب طاقة الإنسان بالإضطراب.

حمدت حورية ربها على اختياري الطريقة اليابانية في المساج وعدم تهوري باختياري الطريقة الصينية التي تعتمد على نفس الطريقة مع استبدال الأصابع للضغط .. بالإبر للوخز!

كانت أصابعي تتحرك بشكل دائري على ظهرها تمهيدا لاستخدام أسلوب "الصفع" الضرب الخفيف عليه وكيف لي أن اضربه بقوة وظهرها هش. "كالبسكويت" قابل للكسر.

على عظام كتفها ضغطت بشكل رقم ثمانية طاردا الطاقات السلبية ليس مباليا بكلماتها ولا حتى بتأوهاتها التي لا أنكر أنها قد أثارتني كثيرا!

لكني كنت في حياد تام لأي انفعال شهواني فعشيقتي الآن في مرحلة انفصال مؤقت عن الواقع ربما تكون على أحد شواطئ البرازيل بسمراواتها العاريات!! أو على شاطئ "العين السخنة" فهي إنسانة قنوعة جدا حتى في خيالاتها أيضا!!

حركات طولية، دائرية، ربما شهوانية أيضا من الخصر إلى الرقبة نزولا إلى الخصر مرة أخرى، أزلقت إبهامي طوليا على جانبي عمودها الفقري وليس عليه، ثم ضغطت على باطن قدمها الطري طابعا قبلة على كعبها المستدير المحمر الدافئ ككأس نبيذ بلا ثلج.

عشيقتي امرأة تشكلت بمزاج على مزاجي، أثارتني أصابعها اللدنة ذات الطلاء الذهبي.. فلم أتردد أبدا من لعقها ولا أعتقد أن اليابانين سيحاكمونني بتجاوزي ذلك على الطريقة التقليدية للمساج. ضغطت بسبابتي وإبهامي على حلمتها اليسرى قبل أن أحركها بشكل دائري وهي مستلقية على ظهرها باسطة ذراعيها وقدميها إلى الخارج في وضعية نسر فاردا جناحيه محلقا في سماء الشهوة أو بمعنى أدق في وضعية

" الرجل الفيتروفي" vetrovian man تلك اللوحة الشهيرة لليوناردو دافنشي.

لا أدري لماذا استلقت بتلك الوضعية وأفرجت ذراعيها باتجاه الخارج بذلك الشكل وبتلك الزاوية التي كانت قد تجاوزت70 درجة، ربما تخيلت نفسها نسرا فأرادت الطيران بعيدا عني، أو ربما شعرت بحرارة في ذلك المكان المحتجز بين فخذيها الممتلئين... فأرادت تهويته قليلا ... ربما ربما ربما فكل شيء جائز.....

***

(1) شيفرة دافنشي للمؤلف الأمريكي دان براون

(عطر اليأس)

(ليس الحب أن ينظر كل منا للأخر، وإنما أن ننظر نحن معا في اتجاه واحد!)
أنيس منصور.

فرت دمعة من عيني وأنا أتسائل بصمت هل ما رأيته كان حقيقة، هل يعقل أن هذا زوجي!!

هل هذا رب الأسرة ومعلم أبنائي، صرخة قوية دوت في أعماقي لتحول دهشتي الى نوع من الحزن الممزوج بيأس مرير.

بصقت على الأرض، واهتززت بعنف وأنا أطلب منه الطلاق بصوت مبحوح قبل أن أنصرف من مسرح الجريمة.

نظرت إلى الدنيا نظرة يأس ساعة إهمامي بالرحيل بعد أن فقدت آمالي وأحلامي واسودت الدنيا بناظري، رحلت لأجمع شتات نفسي ولكن هل سأستطيع العيش؟؟ حتى إذا لم أستطع فأنا قد عزمت الرحيل ولن أتراجع.

عدت مجروحة إلى أهلي مقررة الرحيل والابتعاد عن ذلك العالم المقرف للأبد.....

تسائلت أمي بملامح خالية من التعبير:

– عطر أرجوك اخبريني يا ابنتي ما سبب خلافك مع زوجك.

غشاء رقيق من الدموع كسا عيني وأنا

أخبر والدي برغبتي الملحة في الطلاق!!!

قتلت من حولي بصمتي البغيض، فبقيت صامتة كجماد مقيت، لينزف قلبي دما، ويئز جسدي ألما.

لن أشأ أن اصدم أحدا بالحقيقة الفظيعة، لذلك ظل سره دفين نفسي فمهما بدر منه فهو.. والد أطفالي..

هاجت نفسي وانفتحت الجراح المقفلة على صديد بتذكري ليلة زفافي اليه، فبعدما انسحب المدعون وأغلق الباب علينا أصبحنا لأول مرة وجها لوجه، احمررت خجلا بانتظار مبادرته لكنه نسي أمري وغرق في أحاديثه التي لا تنتهي أبدا مع صديقه لؤي على المحمول!!

صوبت نظري بحياء على الأرض ولم أنظر تجاهه أبدا، ومرت الدقائق بطيئة مملة وأنا أتململ في جلستي وهو لا يشعر حتى بوجودي، فقط يتكلم بهمس مع صديقه!!! لم أستطع تفسير موقفه بالضبط هل هو خجول لهذه الدرجة أم هي عدم مبالاة منه.

استمر في إهماله لي طوال فترة زواجنا، واشتد عذابي حتى أنه طوقني بأسوار من التعاسة رزحت تحت قيدها.

دوت في أعماقي عدة صرخات قوية، فتسائلت كثيرا ربما لا أعجبه ؟ لكن كيف لا وطالما تغزل بجمالي أيام خطوبتنا.

أتذكر أنه في عيد زواجنا الأول أعددت له أشهى الأطباق التي يحبها، وارتديت فستان زفافي بعد أن أصلحت شعري ومكياجي عند أفضل الكوافيرات لأصبح عروسة من جديد.

يومها ملأت المنزل بالورود، وأشعلت الشموع وجلست أنتظره على نغمات الموسيقى الهادئة، ولكن الوقت مر وهو لم يعد، إنتظرته طويلا حتى ذابت الشموع، ذبلت الورود، بهت المكياج، وبرد العشاء.

دخلت غرفتي مثخنة بالجراح، ومثقلة بالأحزان وأنا أتذكر أشياء كنت قد نسيتها.

عاد زوجي في الرابعة صباحا مرهقا جارا قدميه حالما بالسرير الذي سيمتص تعبه وإرهاقه.

لم أعاتبه ولا بكلمة مكتفية بتحجر دموعي البائسة بصمت مرير.

صدمتني الأيام، فكرهت حياتي معه بعمق أو بمعنى أدق كرهت إهماله لي، وقفزت إلى مخيلتي في تلك الفترة أفكار شيطانية من نسج إبليس، فخيل لي أنه على علاقة بإحداهن وأن صديقه لؤي الذي استحوز على اهتمامه ليس سوى عشيقة قد غرق في عشقها فلم يعد يرى سواها.

انقبض قلبي بألم ممض وأنا اتخيلها، وأرسم لها صورة من نسج خيالي،فكل شيء فيه اصبح يذكرني بها وكأنها وحش قد انقض على سعادتنا الوهمية.

بعد مرور أسبوع من ذلك اليوم المشؤوم نقل زوجي هاني إلى المستشفى وهو في حالة خطرة بعدما نزف دما كثيرا فقد قطع وريده بقصد الانتحار ....

حينما سمعت الخبر عدت أفكر فيه وعاد يحتل قلبي ووجداني وكياني، وانهارت مقاومتي فبكيت بعنف وأنا أتذكر ظلمي له بخرافاتي النسائية تلك فهاني لم يكن على علاقة بأخرى، ولم يكن صديقه لؤي مجرد إسم يخبئ وراءه نزوة زوج طائش، بل لؤي كان صديقه بالفعل.

***

(توفي هاني بعدما بذل الطبيب قصارى جهده لإنقاذه وقتها ألجمتني الصدمة فلم أقو على النطق، فقد انتحر زوجي هروبا من مواجهتي بعدما رأيته مع صديقه....)

لن أعتذر

لن أقولها..... ولن أعتذر...

فمن الغباء أن أجرحك وبكل بساطة أقولها (أسفة)... مجرد كلمة من أربعة أحرف... حتما لا تمتلك تلك الحروف طاقة سحرية لتضميد جراحك.. ولكني سأعتذر لك بطريقتي الخاصة... سأرحل بعيدا عنك وعنه إلى الأبد... ربما ذلك سيكون الدواء الحقيقي الذي تحتاجينه الأن أكثر من أي إعتذار.

أعلم أنني مجرد إنسانة بمنتهى الحقارة والإنحطاط في نظرك.. وهذا مااستحقه بالفعل فقد جرحتك وآلمتك بدون أي سبب صريح.. سوى أنك متزوجة من رجل مميز... حنون، صادق بالرغم من كذبه عليك!

لا أستطيع أن أطلب منك الآن نسيان كل ما حدث والعودة إلى حياتك معه كأن شيئا لم يكن... ولكني أرجوك أن تستمر علاقتكما مهما حدث ... ليس من أجل الحب الذي لم يكن يوما سببا في زواجكما فقد أخبرني أنه كان تقليديا بمعنى الكلمة... لكني أرجوك باسم المودة والرحمة التي نشأت بينكما من يوم إعلانكما زوجا وزوجة.

لقب (زوجة) الذي حظيت به من قبل واستمتعتي به على مدار سبع سنوات قد كان حلما كبيرا لي فتمنيت أن أحققه ولو لساعة واحدة فقط، فقد تمنيت من كل قلبي أن اتزوج ذلك الرجل البسيط بتركيبته والعظيم بأخلاقه.. فقد أحببته بصدق.

وها أنت اليوم تريدين الإستغناء عن لقب (زوجة) لتحصلي على ثانٍ، لقب (مطلقة)... أتعلمين أنك في كلتا الحالتين امرأة محظوظة... فأنت زوجة (أحمد) وربما ستصبحين طليقته... فاسمه مرتبط بك دوما..

مدام أحمد .. أرجوك لا تظلميني فأنا لست ساقطة قد سحرته بلغة الجسد! ولا سارقة قد خطفته بلغة الحب!

أنا مجرد أنثى قد زارها الحب في ظروف خاطئة!!!

(محطة فيصل)

"من يأبى اليوم قبول النصيحة التي لا تكلفه شيئا فسوف يضطر في الغد إلى شراء الأسف بأغلى سعر" ..أفلاطون

على إحدى كراسي الانتظار في محطة المترو ألقيت بجسمي من شدة التعب، ليمر المترو الأول والثاني والثالث وأنا جالسة في مكاني لا أتحرك.

وأخيرا تحركت عندما أخرجت "علبة كشري" كنت قد اشتريتها من أحد مطاعم الكشري غير المشهورة في منطقة شعبية "بين السرايات"

ليست القضية الآن علبة الكشري ولا "بين السرايات" الأهم من ذلك، القدر الذي أتى بي إلى هذه المحطة "جامعة القاهرة" في هذا الوقت حيث لم يكن وقت الدوام الجامعي فقد تجاوزت الساعة الثامنة مساء!!

وضعت العلبة داخل الكيس وألقيت بها جانبا فليس ذلك الوقت المناسب للمثالية ورمي النفايات في مكانها فقد تأخر الوقت وعليَّ أن أكب المترو الرابع مهما كلفني الأمر.

(بركة دعاك يا اما) كرسي فاضي يناديني وسط زحمة الركاب فجلست بلا تردد، أغمضت عيني لثواني قبل أن أفيق كالمجنونة بعدما كنت قد نسيت أن أمسح يدي وفمي من بقايا الأكل فأخرجت منديل ومن ثم زجاجة عطر كمحاولة لطمس معالم الكشري الفاضحة.

كان يجلس أمامي شاب مصري بملامح أوربية، فلم يستطع لون شعره الأشقر، ولا عيناه الزرقاوان إخفاء روحه الفرعونية التي كانت قد جذبتني من أول وهلة بعدما كنت قد تخلصت من بقايا الكشري بالمنديل!

لا أدري لماذا كنت أتابعه بنظراتي فأنا لم أكن تلك البنت الجريئة المهووسة بملاحقة الشباب بل كنت طوال سنوات حياتي العشرين خجولة جدا حتى أنني لم أخض أية علاقة عاطفية من قبل حتى قابلت أحمد.

شوش تركيزي في ذلك الفرعون الأوربي مجموعة من الشباب التافهين وأعتذر على كلمة تافهين لكن ذلك أقل وصف لهم. كانوا يقفون بالقرب من الباب ويتبادلون النكات الحقيرة والأغاني المبتذلة لأجد نفسي وبلا أي تفكير أترك ذلك الكرسي الثمين الذي حصلت عليه ببركة دعاء الوالدين وأقف بالقرب من أحمد وكأني أحتمي به من هؤلاء المتشردين.

حركة جنتلة منه جعلته يترك كرسيه ويجلسني مكانه، عند محطة السادات نزلنا أو بمعنى أدق أفسح لي الطريق أولا حتى ظننت أنه

سيودعني للأبد ولكنه لحق بي وقتها استجمعت كل ما فيَّ من جرأة لأشكره على حركتين الجنتلة!

مشينا سويا حتى صعدنا السلم الكهربائي اجتذبنا أطراف الحديث فعرفت منه أنه مصري الجنسية شاب من شباب ثورة 25 يناير يعمل بالإمارات وقد أخذ إجازة ونزل إلى مصر من أجل الثورة.

انسقت ورائه كالمسطولة لأجد نفسي فجأة أمام ماكينات الخروج متذكرة أنه مازال أمامي طريق طويل إلى محطة سراي القبة اتجاه المرج.

ودعته بابتسامة تقطر خجلا فأوقفني قائلا:- مش هتطلبي رقم موبايلي؟

وبعد يومين..... جمعنا القدر مرة أخرى ولكن في ميدان التحرير، كان أحمد ثورجيا، سياسيا لا يمل من الكلام فيما حدث معهم خلال أيام الثورة، تلك الأيام التي لا تصفها كلمات ولا تنقلها محطات إنما هي حالة خاصة، مزيج من ألم، جرح، حلم، فرح... ستظل محفورة بداخلنا للأبد.

عزمني على الغداء أول مرة التقينا فيها في ذلك اليوم حيث التقينا فيه عدة مرات.

الساعة الثالثة عصرًا.. صدمني عندما اخبرني أنه في انتظار صديق له لم يقابله منذ ست سنوات، اكتفيت بابتسامة باردة رسمتها على وجهي ردا على كلامه.

وها هو صديقه يكتم أنفاسنا للمرة الثانية بعد الغداء ليشاركنا أكواب الشاي على إحدى مقاهي وسط البلد التي لم أزرها من قبل.

لم أتجرأ أبدا على دخول تلك الأماكن المليئة بدخان السجائر والشيشة فمعرفتي بأحمد قد قلبت موزاين شخصيتي رأسا على عقب.

***

الساعة الرابعة عصرًا استأذن أحمد من صديقه محمود ليوصلني إلى أقرب محطة مترو حتى لا أتأخر على ميعاد محاضرتي، غبت قرابة الساعتين بجسمي لا بروحي فقد كانت روحي في ميدان التحرير لا من أجل الثورة وحسب بل من أجل أحمد أيضا!

مرت الساعتان ثقيلتان لم أفهم فيهما شيئًا من المحاضرة ولكن كل ما فهمته أنها أخيرا قد انتهت وأنه قد حان وقت اللقاء مرة أخرى.

وجدته في انتظاري لكنه ليس بمفرده كعادته بل مع ابن عمه ياسر لنجتمع مرة أخرى على طاولة الطعام الثلاثية المكونة مني، وأحمد، وأي أحد من طرفه!!

انتهزت فرصة ذهاب ابن عمه إلى الحمام لأفاجئ أحمد بكتاب لـ" توفيق الحكيم" فكان من عشاقه، حمدت الله ألف مرة على موقع "كورس الإنجليزي" المتميز من وجهة نظري حيث كان بالقرب من إحدى المكتبات الذاخرة بالكتب ليوفر عليَّ الوقت والجهد لشراء ذلك الكتاب.

تصفحه وهو يوشوشني بسرية تامة عن طريق توارد بريق نظراته الفرعونية السحرية!!

كنت كالتائهه لا أفهم شيئا مما يقال، فكل شيء في قهوة "after8" كان سياسة في سياسة، كل ما كنت أفعله أنني أتطلع طويلا فيمن يتكلم دون أن أقول شيئا أو حتى أشارك في الحديث وكيف لي أن أشارك أصلا والجميع في حالة إنصات تام لما يقوله أحمد وهو يتبحر في عالم السياسية .... يحكي عن أيام السادات وعبد الناصر ثم يقوم بعمل مناظرة بين أيامهما وأيام الرئيس المخلوع مبارك.

السياسة والدخان الخانق لم يمنعاني من تأمل أحمد كتمثال فرعوني نادر، كنت اتأمل كل شيء فيه، عيناه الحالمتان بمستقبل أفضل لمصر، يداه اللاتي يمسك بإحداهن سيجارته اللعينة ويلوح بالأخرى كقائد جيش، شفتاه اللاتي يضغط بهما على السيجارة قبل أن ينفخ دخانها.. كل شيء فيه أثارني كفتاة لأول مرة تعرف طعم الإعجاب.

الساعة الآن قد تجاوزت التاسعة مساء ... توقف أحمد عن محاضرته السياسية ليوصلني للمترو فقد كان صعيدي الطبع يحمل شعار "لا للتأخير".. ذلك الطبع الصعيدي الذي لمسته فيه عندما رفض وبشدة فكرة دفع حساب الغداء مقطبا حاجبيه ففهمت وقتها أن تلك الفكرة محرمة وبشدة في التعامل مع الصعايدة! .... في لحظة هدوء وسكون أثناء سيرنا شعرت بسعادة غامرة جعلتني أنسى عقوبة التأخير..!!

رنة موبايله "ازاي" لمحمد منير حولت سعادتي لحزن عميق جعلني أذرف دموعًا بلا أي خجل وكأنه زوجي ودموعي تلك حزن على سفره وفراقه.

أنهى مكالمته مع مديره بالإمارات ثم اقترب مني بكل حنية ليتفاجأ بدموعي، في بادئ الأمر اختلط عليه الأمر فظن أن دموعي تلك على تلك الحشود المتظاهرة بميدان التحرير الذي كان قد بدأ الجيش بمحاولة إجبارهم على فض ذلك الاعتصام، لكنه تفاجأ عندما أخبرته بأن دموعي تلك له وحده فهو أهم عندي من ملايين البشر.

طبعت قبلة على خده ممزوجة ببقايا الدموع قبل أن أأكض نحو المترو، لم أقل له إنني أحبه أو إنني سأظل أحبه إلى الأبد بل اكتفيت بإخباره بأنني سأكون في انتظاره حين عودته إلى مصر في أي وقت، حتما كانت ستفرق معه إذا كنت أخبرته بحبي له لكنني أعتقد أن تلك القبلة الجريئة وسط ميدان التحرير كفيلة بتفسير ما بداخلي.

***

أعدت تأمل أحمد وأنا على سريري بعدما وبخني والدي على التأخير!!

استرخيت على ظهري جازّة على شفتي بقوة وأنا أتذكر تلك الحكمة ...

"أن أسوأ ما يصيب الإنسان أن يكون بلا حب أو عمل" لأتحسر على كل ثانية عشتها بلا حب.

وتسائلت بحيرة... لماذا هو بالذات، ما الشيء الذي يميزه عن الآخرين ما الشيء الذي جعلني أأكض خلفه بهذه الطريقة، فالرجل لم يصدر منه أي تصرف يدل على اعجابه بي ومعاملته لي لم تكن سوى من باب الصداقة وحسب.

ربما لأنها تجربة مختلفة فريدة من نوعها... فقد تعودت دائما على ملاحقة الرجال لي وتمنعي بحجة الدراسة والكلية..

ربما سحرتني نبرات صوته الرجولية الخشنة، ربما الشعيرات الكستنائية التي غطت أجزاء من خده وأعلى رقبته أثارتني، ربما رائحتة العالقة في ملابسه التي لم يبدلها طوال الأيام الخمسة التي قابلته فيها.... حتى أدمنتها!.

وها هو أخيرا يبدل بنطاله الكاروه الأبيض والبنفسجي ببنطال أسود وتي شيرت أسود أيضا لكنه احتفظ بالجاكيت الجلد الأبيض!!

ما أعجبني فيه عدم اكتراثه لكلام الناس، يلبس ما يريد ويفعل ما يريد، ثقافته ثقافة الغرب... "مش قلتلكم شكله خواجة وبيضحك عليَّ"

استقبلني بابتسامة عريضة مقاوما بها آثار النوم التي بدت عليه:- "نورتي فيصل ياقمر"

:- ما كنتش قادر تهز طولك وتجي تاخدني من المحطة، انت عارف أنا أول مرة أجي هنا ومش بعرف رسلان بتاع العصير ولا رسلان بتاع الحشيش"

علق بنفس الابتسامة :- اكتمي يابت احنا صعايدة ماينفعش تعلي صوتك عليَّ كده

كتمت البنت... ومشينا قليلا ثم انعطفنا يمينا ودقات قلبي تتزايد كأنها تريد أن توقفني وتعيدني من حيث أتيت ولكن كان هناك شيء ما يجرني، يسحبني، يغيبني عن الوعي لأجد نفسي معه في شقة صديقه بالدور التاسع.

من أسباب مجيئ إليه غير الشوق واللهفة وخوض تجربة جديدة لم أفكر فيها من قبل، نزلة البرد التي أصابته..... اششش ثواني اسمعوني اعطوني فرصة كي أشرح لكم.

عندما اتصل بي أحمد البارحة واعترف لي بمدى إعجابه بي ورغبته في استمرار علاقتنا، حلق بي بعيدا في سماء السعادة لكنه أنزلني مرة أخرى عندما أخبرني بأنه يعاني من ارتفاع في درجة الحرارة واحتقان في الحلق فقررت زيارته بعدما طلب مني ذلك.

لم أكن لأتخيل أبدا أن تكون الشقة بتلك الفخامة لأن الشارع الكائنة فيه لا يوحي أبدا بوجود شقق سوبر لوكس كهذه.

رمى جاكيته الأبيض على الكنبة ليعيده لصديقه البنطال الكاروه الأبيض والبنفسجي وكأنهم أصدقاء لا يقبلان بالفراق أبدا!!

الصالة واسعة جدا ليس من حيث مساحتها التي تزيد عن قرابة خمسة أمتار في سبعة أمتار وحسب بل لخلوها من الأثاث أيضا، وربما كان لطلائها الأبيض دور للإيحاء بمساحة أكبر.

جلس على طرف السرير بينما جلست أنا على كنبة صغيرة بغرفة المعيشة، نظر لي متفحصا متقمصا دور صلاح السعدني في مسلسل "الناس في كفر عسكر" .

:- جيبتيلي إيه فطار لسي السيد بتاعك؟ انتي اللي جيبيته لنفسك قعدت تقولي نفسك تقابلي حد مختلف يبقى سي السيد بتاعك.

دخلت المطبخ لأجده على أحدث طراز فكل شيء في الشقة كان يوحي بالرفاهية المفرطة، أو ربما رفاهية لم أسمع عنها من قبل.

غسلت براد الشاي كي أغلى الحليب قبل أن أضيف القهوة وصفة عجيبة لسي سيد أعجب (دماغه طالبه قهوة باللبن على الصبح أعمله إيه؟؟)

حضرت سندوتشات جبنة رومي ولانشون، رافضة الإنضمام إليه في الأكل وكأن قلقي أنساني إحساسي بالجوع.

وضع قدميه على طاولة صغيرة وهو يحتسي القهوة مع سيجارته المفضلة Marlboro أحمر

كلماته السحرية جعلتني أخلع حجابي، لا أدري لماذا تفاجأ كثيرًا عندما رأى شعري الأسود الطويل ليصارحني بأنه ككثير من الشباب يظن أننا نخبئ وراء حجابنا شعرًا خشنًا مجعد خفيف، وقد نسوا الحكمة الدينية من الحجاب.

أمسك شعري بيده اليسرى حيث كان "أعسر" يشمه وهو مغمض العينين سارحا هائما في عالم آخر.

لم أستوعب أنني بالفعل موجودة في شقة رجل عازب وعلى سرير رجل عازب وكأنني أشاهد فيلم عربي من بطولة مراهقة طائشة وهي... (أنا)

حاولت إيقافه فاستجاب... لكنه سرعان ما عاود مرة أخرى، طلب مني خلع الحذاء حتى أصعد السرير لكني رفضت فحملني بكل قوته راميا بي على السرير ليس مباليا بتلطيخ الشرشف الناصع البياض.

بكيت فهدأني سألني لماذا الخوف؟؟ وهو يمسك بيدي، أطرى على برائتي النادرة بعدما تأكد بخبرته الثلاثينية أنني عذراء الجسد والروح!!.

تنصلت من بين يديه محاولة الذهاب لكن تصرفي ذلك استفزه فحملني مرة أخرى لكن بعنف هذه المرة قبل أن يلقي بي على السرير الذي كنت قد لطخت شرشفه بحذائي، نظر لي بعينين حادتين، متوحشتين، ربما مفترستين أيضا، فأيقنت أنه لا فرار وأنني خسرت كل شيء بمجيئي إليه.

اقترب قائلا:- اتخدعت فيَّ يا رسيل انتى وقعت في إيد واحد حيوان.

تسارعت دقات قلبي حتى خلته سيتوقف، جف ريقي وبح صوتي حتى أنني لم أقاوم ما حدث وكأنني سلمت أمري لله.

وفجأة وبلاسابق إنذار نهض من على السرير وأشعل سيجارته قبل أن يطلب مني الذهاب. وقتها ألجمتني الصدمتين، صدمة الخوف، وصدمة الفرح، فلم أقو على الحركة، بعدما سيطر عليَّ دوار شديد.

صدمة الفرح جلعتني أفيق جاثة على ركبتي، وقبلت يديه شاكرة له موقفه الرجولي البطولي، فبعد أن كان بإمكانه اغتصابي بكل سهولة في ظل غياب الشرطة والأمن.

حاولت لبس الإيشارب بيدين مرتجفتين لكنني فشلت، فساعدني هو بعد أن أحضر لي كوب ماء، طالبا مني الجلوس قليلا حتى أهدأ.

نظر لي بغضب جازا على شفتيه:- لقد عرفت معك طعم البراءة والعفاف، رسيل أنت إنسانة بيضاء شفافة لم يسبق لك التدنيس من قبل ككثير من الفتيات فيجب عليك أن تحافظي على ذلك، لقد ارتكبت اليوم أكبر خطأ بحياتك بمجيئك إلى هنا فمن المؤكد أنك كنت ستخسرين الكثير لكن لحسن حظك انك وقعت بين يدي (شاب من شباب ثورة 25 يناير) احمدي الله أيضا على تلك الثورة التي اكسبتنا كثيرًا من الأخلاقيات التي قد غابت عنا طويلا، فربما لو كانت جمعتنا الظروف قبل تلك الثورة لكان الوضع مختلف لكن الآن نحن شباب جديد، بتفكير جديد، وبحلم جديد

قبلت يده وقبلت الثورة قبل أن أفر هاربة إلى محطة مترو فيصل ... فكم هي كثيرة محطات حياتنا التي علمتنا وجرحتنا وربما داوتنا أحيانا.... لكن "محطة فيصل" قد علمتني الكثير.

***

رسيل: الماء العذب

نظارة قراءة

* العمر هو الشئ الوحيد الذي كلما زاد نقص.....

***

نهضت من على سريري متثاقلة على صوت جرس الباب المزعج، مشيت بخطوات بطيئة وأنا أتمطى نافضة بذلك أثار النوم.

(ترى من الذي سيأتي الأن؟) لم أسأل نفسي هذا السؤال ولم أضع حتى أي احتمالات عن هوية الشخص الذي ينتظر خلف باب الشقة، فليس هناك مجال لأي احتمالات فأنا أعرف من ذلك الذي يرن الجرس في هذه الساعة المتأخرة من الليل.... نعم اعرفه حق المعرفة ..... إنه (م) عشيقي الجديد.

(م) الذي يكره ويعشق في نفس الوقت، يكره اختراع المفاتيح ويعشق استقبالي له عند عودته لذلك لايحمل مفتاحه.

ترى كم الساعة الآن؟ وفي أي يوم من أيام الأسبوع نحن؟ هكذا كنت أتحدث الى نفسي وأنا في اتجاهي نحو الباب حاملة معي آثار النوم التي مازالت تسيطر علي.

كانت الشقة مظلمة فأنا من عشاق الظلام. وكثيرا ماكان يناديني (م) بخفاشتي الصغيرة...اصطدمت بإحدى الكنبات الموجودة بالصالة عندها أدركت أنني قد تخلصت من آثار النوم نهائيا، وبدأت

باستيعاب ما يدور من حولي عندما قمت بإضاءة النور ليكون أول شيء تقع عليه عيناي باقة الورد المجففة التي وضعتها في مزهرية عاجية اللون على طاولة بيضاوية الشكل بالقرب من مدخل الشقة.

من المؤكد أن تلك الورود المجففة لم تكن مجففة عندما قمت بشرائها فما أذكره أنها كانت زاهية اللون ذات بتلات بنفسجية جميلة مع أزهار صفراء صغيرة قد قام (بدوي) بائع الأزهار بلفها بقماش بنفسجي اللون أيضا ليختم مهمته بربط الباقة بشريط ستان أصفر مجسدا بذلك مدى تناسق الألوان الساخنة مع الألوان الباردة في باقة الورد التي قدمتها لعشيقي السابق (ح).

أمام باب خشبي لشقة في الدورالثالث انتظرته طويلا أوربما خيل لي ذلك لأنني من مؤيدين مقولة (لو انتظرت الماء يغلي فلن يغلي) وها أنا انتظرته ولم يأت، أسندت ظهري إلى الحائط قبل أن أجلس على إحدى عتبات السلم تاركة باقة الورد، البيتزا، علبة البيبس بالقرب من الباب.

آه لقد نسيت حكاية البيتزا بكل بساطة أنني لم أجد أمامي سوى مطعم بيتزا فلم أتردد أبدا بدخوله وشراء بيتزا بالخضار متوسطة الحجم لشخصين مع عبلة بيبسي حجم عائلي.

اغمضت عيناي وأنا اتسائل في صمت عن السبب الذي أتى بي الى هنا؟ ربما لقد اتيت إلى العنوان الخاطئ وأن هذه ليست شقة (ح)!، أو ربما هذه شقته بالفعل وهو بالداخل مشغول مع إحداهن إلا لماذا لا يجيب على اتصالاتي!

سيل من الأفكار الشيطانية انهالت علي لكنني سرعان مانفضت غبار الظنون من رأسي متغلبة بذلك عليها .

انتظرت وانتظرت وانتظرت... وفجأة فتح باب المصعد الكهربائي لأجده يقف أمامي بقامته الطويلة وببشرته السمراء المثيرة ناطقا اسمي باستغراب (أريحا!!) حينها ألجمتني المفاجأة حتى أنني لم أقو على الوقوف إلى أن مد لي يديه القوية.

تبادلنا كثيرًا من الأسئلة والأجوبة عندما تلاقت أعيننا حتى أنني نسيت أن أنفض ماعلق بملابسي من غبار!!.

– أعتذر بشدة عن تأخيري.. تفضلي بالدخول.. تحدث وإحساسه بالذنب يسيطر عليه

– أنا المذنبة لأنني أتيت دون أن أخبرك.. تحدثت بخجل

– لكن هذا أجمل ذنب يا أريحا.. ابتسم وهو يفتح الباب ويرحب بدخولي ثم أردف قائلا:– إعذريني لقد كنت في زيارة لأختي ونسيت موبايلي على الصامت لذلك لم أنتبه لمكالماتك

***

كانت تلك أول مرة أقوم فيها بزيارته لا أدري لماذا تصرفت بذلك الجنون، ولماذا قمت بتغيير رأيي بتلك السرعة فالبارحة فقط كنت رافضة وبشدة فكرة دخول منزله أو حتى المرور من نفس الشارع وها أنا اليوم في شقته وجالسة على أريكته البنية اللون، انظر إلى باقة الورد بدلا من النظر إلى عينيه، وأشرب كوبًا من البيبس المثلج، وأمسك

باليد الأخرى قطعة من البيتزا التي كانت قد فقدت حرارتها بفعل الوقت .

احتفظ (ح) بباقة الورد بعد أن قمت بشرح له خطوات عملية تجفيف الأزهار وذلك بوضعها بين صفحات كتاب كبير نوعا ما والضغط عليها بوزن ثقيل حتى يقوم بإخراج مافيها من ماء للاحتفاظ بها كذكرى شبه خالدة.

***

آه لقد نسيت جرس الباب وتركت عشيقي الجديد (م) ينتظر طويلا خارجا واخذت أجوب في سراديب ذاكرتي فيجب علي الأن فتح الباب ومواصلة ذكريات الماضي لاحقا فعذرا ذاكرتي الحبيبة.

همس بهدوء بعد أن القى بجسده على أقرب كرسي: يا له من يوم طويل، لكن بالرغم من إنشغالي بالعمل لم أتوقف عن التفكير بك

سألته بدلال وأنا أقدم له كوبًا من الماء البارد:- كم مرة في الدقيقة فكرت بأميرتك؟

ابتسم بحيرة ولم ينبس ببنت شفة....

اقتربت منه أكثر....- ما رأيك في حمام دافئ فمن المؤكد أنك مرهق بعد ساعات العمل الطويلة

إنطلقت لغرفة النوم أجهز له الحمام الملحق بها، فتحت سخان المياه الكهربائي وأخرجت فوطة كبيرة نظيفة من الدولاب حتى يجفف بها جسمه بالإضافة إلى بيجامته الحريرية السوداء المفضلة لديه قائلة:

سأدعك حبيبي تنعم بحمام دافئ وسأذهب أنا لأعد العشاء.

في المطبخ وضعت إناء الحليب على نار هادئة وانشغلت بتقطيع سلطة الفواكة المكونة من (الجريب فروت، التفاح، الكيوي، الموز) إلى حين أن يغلي الحليب لأقوم بإضافة الفانيليا له فذلك كان عشاؤنا الروتيني الذي أحبه (م) لدرجة الإدمان منذ ارتباطنا من ثلاثة سنوات.

سرحت بخيالي وأنا أقشر الكيوي متوقفة عند أول لقاء لي مع عشيقي السابق (ح) وكان ذلك من حوالي أربع سنوات في مدينة القاهرة بالعباسية أمام بوابة جامعة عين شمس عندما كنت أخذ الأذن بالدخول للإستفسار عن الدورات التدريبية.. حينها رأيته وهو يخرج محفظته من جيبه الأيسر ليظهر كارنيه الجامعة لموظفين الأمن قبل أن يختفي بسرعة البرق وسط زحمة الطلاب والطالبات.

تمنيت لو ألقيت عليه التحية مبتدعة بذلك طريقة للحديث معه، لكني سرعان ما نسيت فارس أحلامي بفقداني أمل لقائه من جديد.

وبعد مرور ساعة ونصف كانت قد مرت بين الإستفسار عن أسعار دورات الكمبيوتر ومواعيدها، وبين الجلوس على إحدى كافتيريات الجامعة لشرب عصير يخفف عليَّ من حدة شمس الصيف.

خرجت من نفس البوابة التي دخلت منها والتي كنت قد التقيت عندها بفارس أحلامي ولكن هذه المرة أنا عند البوابة أقف بمفردي من دونه.

مشيت بخطوات بطيئة حول سور الجامعة عندما استوقفني إحدى أطباء حملة التبرع بالدم طالبا من وقتي دقائق لإقناعي بفكرة التبرع لكني وفرت عليه عناء الإقناع بقولي (أنا حامل يادكتور)

انصرفت بعدها سعيدة بكذبتي الجديدة التي كنت قد ابتكرتها بعد فشلي في إقناع تلك الحملات عبثا بمعاناتي من (الأنيميا) فقر دم.

هناك على بعد خمسة أمتار لمحت خيال شخص ما تأكدت أنه هو فأسرعت نحوه كالمجنونة بخطوات سريعة كادت أن تمزق حذائي الجديد، مبتدعة طريقة للحديث معه:- من فضلك لقد سقطت منك هذه الورقة

رد باستغراب:- لكن هذه ليست ورقتي

- هل أنت متأكد

- بالطبع

- طب ممكن تقولي إزاي أروح الدقي

وتوالت الأحاديث بيننا الى أن تبادلنا الأرقام قبل أن يودع كلانا الأخر.

***

بعد أن انتهى (م) عشيقي الجديد من حمامه وانتهيت أنا أيضا من تحضير العشاء.

نظر إلى بإهتمام قبل أن يتفوه بكلمة:- سلمت يداك حبيبتي

ابتسمت له وقد بدا عليَّ الإرتباك والخجل فقد جمعتنا غرفة نومنا كما جمعتنا طاولة الطعام منذ دقائق

همس قائلا:- بوجودك أصبح للدنيا طعم مختلف

كل حاجة بتكون معاك أحلى أنت الأصل وأنا الصورة.

صمت (م) للحظات ثم أومأ برأسه موافق بأنه هو الأصل وأنا الصورة!!!

أسدل الستار على ليلة (م) مع إغماض جفنيه ودخوله بذلك إلى عالم الأحلام، بينما كنت أنا في حالة شرود أسترجع الماضي، ذلك الماضي الذي جعلني أقارن بين عشيقي الجديد(م) الذي ينام بجواري الآن وبين عشيقي القديم (ح) الذي أصبح مجرد ذكرى من مجموعة ذكريات الزمن الجميل.

***

في إحدى العيادات كنت أجلس على إحدى الكراسي وبجواري (ح) قبل أن تطلب منا الممرضة الدخول إلى الطبيب.

عند الطبيب/ أحمد ياسر إستشاري العيون مشهود له بتفوقه في مجاله على بقية زملائه الأطباء.... لقد اختاره (ح) من بين قائمة أطباء كان قد أعدها بنفسه للتوصل إلى أفضل طبيب من وجهة نظره.

- إعتدل الدكتور أحمد في جلسته مرحبا بدخولنا:- ألف سلامة عليك يامدام أريحا.
- آنسة من فضلك
- آسف اتفضلي يا آنسة أريحا وقوليلي من إيه بتشتكي
- أشعر بألم في عيني اليسرى وكأنه وخز إبرة وعلى ما أظن هناك قطعة زجاج بداخلها
- تفضلي حتى أقوم بالكشف عليك

بعد انتهائه من الكشف ابتسم قائلا:- لا داعي للقلق إنه مجرد التهاب بسبب الأتربة والغبار

تنفست الصعداء بعد الشكوك التي راودتني والتي أصر(ح) على تكذيبها وطمئنتي.

تحدث (ح) فرحا:- الحمدلله شكرا دكتور أحمد لأن أريحا كانت مصممة أن بداخل عينها قطعة زجاج

ابتسم الطبيب قائلا وهو يمسك بالقلم لكتابة الوصفة الطبية: - لا تقلق أنه مجرد إلتهاب بسيط

سأل (ح) مستفسرا:- دكتور أحمد أريد أن أستشيرك في أمر ما فأنا أشعر بصداع عند القراءة ولا أستطيع رؤية الحروف بوضوح عندما يكون الكتاب أو الموبايل قريب مني مع أنني في نفس الوقت أستطيع النظر بوضوح من بعيد.

إيه ياراجل انت لسه صغير .. الشكوى دي تبدأ من الأربعين هو انت عمرك كم ياباشا؟

تلعثم قائلا:- ٢٩-٣٠ سنة

تحدث مازحا:- الظاهر متاعب الحياة قد أنستك عمرك .. تفضل بالجلوس على الكرسي.

جلس (ح) على كرسي الكشف محدقا في اللوحة المعلقة على الحائط المقابل حسب تعليمات الطبيب

(خلاصة الموضوع).....

تشخيص حالة (ح) هي قصر نظر بحوالي 1.5 درجة في العين اليمنى واليسرى

طلبت من (ح) إعطائي ورقة كشف النظر لأقوم بتفصيل نظارة له هدية مني لكنه رفض وبشدة ليس ذلك وحسب بل قام بتمزيق الورقة أيضا بحجة أن الطبيب ليس له خبرة جيدة..... يا إلهي ما ذلك التناقض الرهيب في عشيقي السابق ألم يكن ذلك الطبيب ذاته هو المميز قبل دخولنا إلى غرفة الكشف!!!

مر الأسبوعان وحان وقت مراجعة الطبيب لكن (ح) لم يوافق على تلك المراجعة محاولا عبثا إقناعي بأنني بحالة جيدة ولست بحاجة لمعاودة زيارة العيادة.

وفي نفس العيادة وقت المراجعة قامت هذه المرة طبيبة تدعى فدوى بفحصي بدلا من الدكتور أحمد حيث اضطر لظروف خاصة إلى السفر خارج البلاد.

كانت نتيجة الكشف كما توقعها (ح) أنني قد تشافيت تماما من الإلتهاب

كان ذلك الشق الأول من النتيجة أما الشق الثاني والذي لم يتوقعه أيا منا

أن هناك ارتفاع في ضغط العين 23 درجة وذلك يشكل خطرا على عصب العين طالبة مني القيام بأشعة (مجال الإبصار) في أقرب وقت ممكن حتى تقوم بعرضها على الإستشاري الكبير د /جورج قبل توجهه إلى لندن لمؤتمر طبي مهم (إيه العيادة اللي كل دكاترتها مسافرين!!)

لا أدري لماذا قمت بالإسترسال في الحديث عن إلتهاب عيني فذلك ليس له أي علاقة بالقصة، إنه مجرد ثرثرة أنثى عشرينية تنام على نفس الفراش الذي ينام عليه عشيقها الأربعيني!

ولكن ذلك العشق الجنوني والحب الأبدي لم يستطع أن ينسيني صورة (ح) التي أخذت تدغدغ ذاكرتي القوية في تلك الليلة صورته التي كانت قد طبعت بألوان زيتية لماعة على فصي مخي الأيمن والأيسر.

فكم هو لطيف، حنون، برئ براءة ساذجة كبراءة الأطفال فلم يفلح كعادته تلك المرة في إكمال كذبته الجديدة علي لأجد نفسي بكل بساطة وبدون أي دهاء أنثوي اكتشفها عندما كنا نجلس على إحدى كافيهات المهندسين نتصفح موقع جريدة (الأهرام) على جهاز (I Pad) وبكل تلقائية أخرج نظارة من جيبه عرفت للوهلة الأولى أنها نظارة قراءة عندما ثبتها على طرف أنفه.

تحدثت ببرود مفتعل قائلة:- مبروك على النظارة

- الله يبارك فيك...

سألته بخبث أنثوي:- حبيبي إزاي عملت النظارة من غير كشف.. إنت ناسي انك قطعت ورقة الكشف لما كنا مع بعض.

لقد ذهبت لطبيب آخر وأعدت الكشف من جديد

عندها لم أكمل الحديث وانشغلت بأكل آيس كريم الكراميل وأنا أغلي من داخلي فلماذا لم يخبرني بذهابه للطبيب وهو يخبرني بكل شيء ولماذا كل تلك الحساسية المفرطة من موضوع طبيب العيون بالذات وكأن هناك سرا ما يخبئه.

نبهني (م) من استغراقي في افكاري عندما سمعت صوت سعاله يشق الصمت من حولي.. علا وجهي الحرج الشديد .. ابتسمت له برقة وأنا أقدم له الماء:- سلامتك ألف سلامة عليك حياتي

يا لها من وقاحة أن أستعيد ذكريات الماضي وأنا بجانب رجلي الجديد، فقررت النوم لعل النوم أفضل لي (فنوم الظالم عبادة) ولكن عيني جافاها النوم بعدما خلد (م) لنومه من جديد عندما هدأ سعاله.

***

مرت دقيقة... دقيقتان.... ثلاثة.... وأنا أترقب النوم لكنه لم يشأ أن يزورني تلك الليلة ... ليلة إحياء الذكريات، ذكريات حبيب أحب بصدق، ضحى بكرم، عشق بجنون...

كانت مفاجأة مدهشة أطاحت بكل توقعاتي ... فبعد أن خيل لي أنني أصبحت أعرفه أكثر من نفسه اتضح لي أنني لم أكن أعرف عنه شيئا.... فكنا يومها في إحدى المطاعم وعندما ذهب إلى دورة المياة أمسكت بمحفظته ليس كحب استطلاع بل لأضع له وردة حمراء ومن باب الصدفة وجدت داخل تلك المحفظة بطاقة شخصية لنفس الشخص الذي أحببت ولكن بعمر مختلف ... في البادئ تجاهلت الأمر وكأن شيئا لم يكن، وأسرعت بإعادة المحفظة وما أن عاد (ح) من دورة المياه حتى جلست بالقرب منه صامتة لا يوحي وجهي بشيء مما يدور داخلي..

أخذ يتحدث إلي وأنا أمامه أنظر إليه بعينين جافتين بلا دموع وفجأة وبلا سابق إنذار هطلت دموعي بغزارة على خديَّ الشاحبين وأنا أهمس:- لماذا كذبت عليَّ طوال هذه الفترة؟

تعجب سائلا:- أنا كذبت عليك.. متى؟ أين؟ ولماذا؟

:- تريد أن تعرف الإجابة.. متى؟ منذ أول مقابلة.. أين؟ في كل مكان جمعنا.. لماذا؟ هذا السؤال الذي ستجيب عليه ياعزيزي.

:- صدقيني لم أفهم ما تقصدينه.. ولا أعلم ما سبب دموعك حبيبتي

خرج صوتي مبحوحا غريبا وكأني أسمعه لأول مرة:- بطاقتك الشخصية وتاريخ ميلادك!

- وأين المشكلة في ذلك؟

- المشكلة بكل بساطة ياعزيزي أنك تكبرني ب15عاما..

- لكنني أحبك بصدق

- لكن أيضا من أبسط حقوقي أن أعرف ذلك الفارق العمري الذي بيننا من بداية علاقتنا حتى يكون لي حق الاختيار في إكمال تلك العلاقة أو...

قاطعني بخوف سيطر عليه:- سنفترق؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

انهرت باكية وأنا أودعه حينها شعرت بأن شمسي قد غابت عن عالمي الصغير وقد حل مكانها سواد دامس لا أرى فيه شيئا سوى عمره الحقيقي ... ومن بين ذلك الظلام وتلك الدموع قررت إعطائه فرصة لشرح ما حصل. ربما كانت له أسبابه وأعذاره المقنعة التي دفعته إلى الكذب عليَّ طوال تلك الفترة.

ذلك الشخص الملائكي الحنون العطوف، الذي أذهلني برقته الواضحة، وغمرني بحبه الصادق، وأخجلني باحترامه الشديد لي.

ذلك الشخص الذي لم يمس شعرة من جسدي عندما جمعنا سقف واحد في شقته، ذلك الشخص الذي لم يفكر يوما أن يلمس يدي أثناء خروجنا سويا، ذلك الشخص الذي احترم جسدي فاعتبره ملكيه خاصة لصاحب النصيب، ذلك الرجل أظن أنه يستحق أن يأخذ فرصة لشرح أسبابه، ويستحق أن أقتنع بأسبابه.

ذلك الرجل الذي خشى أن يخبرني بعمره الحقيقي فيخسرني للأبد، ذلك الرجل الذي ظن أنني سأخاف منه عندما أعرف أنه أربعيني، ذلك الرجل الذي ينام بجواري الأن، ذلك الرجل هو عشيقي القديم وعشيقي الجديد، ذلك الرجل هو زوجي (م) (ح)

اختصارا لمحمد حبيبي!!!

أريحا: مدينة القمر او مكان الروائح الطيبة

الفهرس

عندي أمل في أمل	7
إحترم دموعي قبل أن تحترمني	9
القهوة الساخنة	25
أنثى مقيدة	31
بصمات الكاكاو	49
بقايا عذراء	65
تحري قبل الدخلة	71
رقم واحد	77
زوجة في الظلام	87
عشيقة بالحلال	107

عطر اليأس	139
لن أعتذر	143
محطة فيصل	145
نظارة قراءة	157